ستالين

Joseph Vissarionovitch Djougachvili (STALINE)

جوزيف فيسار يونو فيتش دجوجا شفيلى (ستالين)

٢١ ديسمبر سنة ١٨٧٩ — ٥ مارس سنة ١٩٥٣

مولده ونشأته :

ولد ستالين بقرية (جورا) بالقرب من بلدة تفليس فى جمهورية جورجيا سنة ١٨٧٩ عندما كان والده يعمل فى مصنع أحذية ثم أصبح إسكافياً واسمه « فيساريون دجوجا شفيلى » ، وتوفى عندما كان ستالين طفلا ، ولم يعرف عنه سوى أنه كان فقيراً عنيفاً يدمن الشراب ، وقيل أيضاً بأن « فيساريون » هذا لم يكن والده الحقيقى .

والدته اسمها « كاترين جيلادزه » ، كانت سيدة متدينة تشتغل بحياكة الملابس وتنظيفها ، أدخلت ابنها جوزيف (ستالين) مدرسة دينية تابعة للآباء اليسوعيين (الجزويت) إذ كانت تريد أن تعده ليكون قسيساً للقرية وبقى بتلك المدرسة من سن الخامسة عشرة حتى التاسعة عشرة ، وقيل بأنه قد طرد من المدرسة لنشاطه السياسى الماركسى ولكن قيل أيضاً بأن والدته منعته من الاستمرار فى الدراسة بسبب تدهور صحته نتيجة للحرمان الذى كان يعانيـــه .

اسمه الحقيقى (يوسيف Josif) فيساريو نوفيتش دجوجا شفيلى ، وقيل بأن لينين هو الذى أطلق عليه ستالين (باللغة الروسية تعنى الصلب) أى الرجل الحديدى وصفاً لشدة تحمله ، ولكن الغالب هو أن أحد رفاقه هو الذى أطلق عليه هذا الاسم لأنه عرف به منذ سنة ١٩١٠ ولم يكن لينين قد اتصل به اتصالا وثيقاً بعد وتعرف جيداً على مواهبه .

لم يعرف بأن لستالين أخوات ، ذكوراً أو إناثاً ، على قيد الحياة ، قيل بأنهم قد توفوا جميعاً فى سن الطفولة ، كما لم يعرف بأن له أبناء عمومة ، أو أولاد عمات حتى ولو من بعيد سواء من ناحية والده أو من ناحية والدته ،

وباختصار فإن أصل جوزيف غير معروف وعائلته غير معروفة لأحد ، وضرب هو ستاراً كثيفاً على كل محاولات المؤرخين معرفة أصله حتى قالوا بأن « الإله ليس له أقارب » .

عرف سكان جمهورية جورجيا بكثرة نسلهم وتشابك عائلاتها ، كما عرف عنهم تعلقهم بحمل السلاح والغزو للاستيلاء على الأسلاب ، وكان قياصرة روسيا يجندون منهم فرقاً لحراسة المسجونين فى سجون القياصرة .

على كل حال فقد أجمع المؤرخون على أن ستالين قد أتلف كل مستند لعائلته وقضى على كل من كان يعرفه منذ طفولته ، وطمس كل علاقة له بنسبه وأراد أن يكون وحيداً .

أما والدته فقد عاشت حتى رأته فى قمة السلطة وتوفيت فى سن الثمانين بمدينة « تبيليسى » وفى منزل كبير كان قد استولت عليه الحكومة لكى تسكنها فيه ، وقيل بأن ستالين لم يذهب لزيارتها إلا ثلاث مرات خلال خمسة عشر عاماً ، وهى لم تكن تشغل من ذلك المنزل الكبير سوى غرفة واحدة صغيرة بها سرير من الحديد . أحضر ستالين والدته إلى موسكو بعد أن تولى السلطة ببضع سنوات وأقامت فى الكرملين لمدة شهر ، روى بأنها لم تكن سعيدة على الإطلاق بإقامتها هذه وكانت دائمة القلق والدهشة من الحال الذى وصل إليه ابنها (يوسيف) إذ لم تكن مطمئنة إلى الطريقة التى توصل بها (يوسيف) إلى اكتساب قوت يومه وفضلت فى النهاية أن تعود إلى جبال تفليس مكتئبة قلقة .

أهل جمهورية جورجيا ليسوا بروس ولغتهم تختلف تماماً عن اللغة الروسية وتجرى فى عروقهم دماء قوقازية ، وهم سكان جبال بعادات بدائية فى التعلق بتقاليد الدفاع عن أنفسهم ، وتبدو على وجوههم حدة الطباع ، ويفاخرون بتاريخ بلادهم التى تمتاز بجمالها الطبيعى ويكثر بها الأمراء الذين كانوا يعيشون حياة الترف والبذخ ، كما امتازت جورجيا بكنائسها القديمة الجميلة ولكن بجانب كل ذلك كانت غالبية أهلها تئن تحت وطأة البؤس والفاقة وتحمل فى نفوسها حقداً دفيناً لحكامها الروس . كانت أحوال الفلاحين والعمال فى غاية السوء تحت وطأة حكم الأمراء والإقطاعيين

فكان على العامل إما أن يقبل العمل ليحصل على قوت يومه فى ظروف عبودية ممقوتة ، وإما أن يأخذ طريقه إلى الجبال ليحيا حياة اللصوص وقطاع الطريق .

بدأت الآراء الماركسية تجد أرضاً خصبة لها فى أوساط العمال الذين كان عددهم يتزايد فى تفليس وباكو وباطوم والتى كان يحملها إليهم المثقفون المبعدون إلى أطراف الامبراطورية الروسية .

كان أول عهد ستالين بالمسائل السياسية عندما اتصل بجماعة من الجماعات الغير قانونية التى كانت تناقش الآراء الماركسية بعد أن ترك المدرسة الدينية التى كان يتعلم فيها ، وكان يكسب قوت يومه من أى عمل يقوم به فى مدينة تفليس . عندما تكونت فى تفليس سنة ١٩٠٠ لجنة للحزب الديمقراطى الاشتراكى الروسى انضم ستالين إلى عضويتها ، وبدأ البوليس فى مطاردته واضطر ستالين نتيجة لتلك المطاردة أن يمارس نشاطه السياسى فى الخفاء .

كان هناك عاملان دفعا ستالين إلى التعلق بالمبادىء الماركسية والتشبث بالثورة هما الفقر المدقع الذى عاش فيه منذ طفولته ثم تجربته فى المدرسة الدينية التى تلقى فيها دروسه لمدة أربع سنوات . ذاق ستالين مرارة الحرمان وكره سلطة القساوسة وتزمتهم ورماهم بأقبح الصفات والتخلف . كانت تلك السنوات الأربع القول الفصل فى تكوين مشاعر ستالين وهدفه من الحيـــاة .

انتقل ستالين إلى باطوم وسرعان ما تزعم زملاءه عمال الموانى فقبض البوليس السرى عليه وأودعه السجن لمدة عام ونصف نفى بعدها إلى شرق سيبيريا ولكنه هرب من منفاه وعاد متخفياً إلى باطوم . عندما انشق الاشتراكيون الديمقراطيون على أنفسهم بعد مؤتمر لندن سنة ١٩٠٣ إلى بلشفيك ومنشفيك أعلن ستالين لزملائه بأنه ينضم إلى فريق البلشفيك ، وكان قد تسلم كتاباً بانضمامه هذا من لينين .

اعترف لستالين فى القوقاز بأنه زعيم فريق البلشفيك من الاشتراكيين الديمقراطيين كان له دور فى ثورة سنة ١٩٠٥ الفاشلة ولكنه تلقى دروساً من هذا الفشل ، وكانت تلك الثورة قد اتخذت فى القوقاز شكل حرب

عصابات مسلحة ضد سلطة القيصر وكانت تمول حركتها من عمليات سطو على خزائن الحكومة والبنوك الروسية والقيام بعمليات سطو على سلاح سلطات الأمن أو تهريبه .

فى سنة ١٩٠٧ انتقل ستالين إلى باكو ، أكبر مركز صناعى فى القوقاز ، حيث كانت غالبية العمال تحت نفوذ المنشفيك وبذل جهداً كبيراً فى تحويلهم إلى جانب البلشفيك . قبض على ستالين وأبعد من باكو مرتين . كانت باكو تضم عدة أجناس من روس وأتراك وأرمن وإيرانيين بجانب أهل جورجيا الأصليين ، وكانت مصادر صناعاتها قبل الثورة البلشفية تمول برؤوس أموال أجنبية . كانت باكو مدينة المليونيرات ومدينة المعدمين وكانت بجانب ذلك مدينة الصناعة الأوربية المتقدمة ومدينة القذارة الآسيوية ، أى كانت أنموذجا لمستعمرة الرأسمالية العالمية المستغلة . كانت أمام ستالين فى باكو صورة حية لما كان يصوره لينين فى كلمات عن الطبقة العاملة . بدأ ستالين يقرأ أدب كارل ماركس وسرعان ما أصبح حجة فى أدب كارل ماركس ومبادئه أمام زملائه العمال ومكنته دراساته العملية والنظرية أن يكتب فى سنة ١٩١٢ موضوعاً عن « الاشتراكية والمسألة الوطنية » وفيه هاجم هجوماً عنيفاً المفهوم الخاطىء الذى كان سائداً عن « الدولية الثانية » وخاصة كما قدمها إلى جماهير العمال اشتراكيو امبراطورية النمسا والمجر الذين كان يتزعمهم « أوتو باور » .

بعد فشل ثورة ١٩٠٥ كاد اليأس يستولى على كثير من زعماء البلشفيك فهرب أغلبهم إلى خارج روسيا ليقضوا أوقاتهم فى المقاهى والمكتبات فى فرنسا والنمسا وسويسرا وأيضاً فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وبقى ستالين داخل روسيا وكان له الفضل ، هو ومولوتوف وجاكوب سفردلوف فى تماسك البقية الباقية منهم لمواصلة الكفاح داخل روسيا تحت زعامة لينين الذى هرب إلى خارج روسيا وظل يتنقل بين عواصم أوربا . كان على ستالين وزملائه أن يواجهوا بوليس القيصر بأجهزته الضخمة فى التجسس على نشاطهم ودس عملائه بين صفوفهم ولذلك كانت حياة

ستالين فى الفترة ما بين ١٩٠٥ و ١٩١٢ سلسلة من مطاردة البوليس له من مدينة إلى مدينة ومن شارع إلى شارع وسلسلة أخرى من القبض والهرب والاختفاء .

فى سنة ١٩١٢ — وبناء على اقتراح لينين — ضم ستالين إلى عضوية اللجنة المركزية لحزب الاشتراكيين الديمقراطيين (فريق البلشفيك) فى وقت كانت الطبقة العاملة فى روسيا قد دخلت دور النقاهة من صدمة فشل ثورة سنة ١٩٠٥ . كان البلشفيك قد عززوا مواقعهم بين الطبقة العاملة وبين حركة اتحاد النقابات حديثة العهد ، وساعد على ذلك التوسع الصناعى السريع والرخاء الذى ساد الامبراطورية الروسية فى تلك الفترة وازدياد حجم الطبقة العاملة عددا ونفوذاً . اعتبر ستالين فى تلك الفترة أيضاً زعيماً للحزب داخل روسيا ، وكان عليه عبء إدارة الحركة السرية بتوجيهات من لينين الذى كان مقيماً فى سويسرا ، وكان على ستالين ، بمعاونة « سفردلوف » ، أن يقوم بجولات فى أقاليم روسيا لتنظيم وتقوية أجهزة الحزب فيها .

فى سنة ١٩١٣ قبض على ستالين وأبعد إلى إقليم « توروخانسك » فى المنطقة القطبية من شمال سيبيريا نتيجة وشاية عن نشاطه السرى قدمها إلى البوليس السرى القيصرى « مالينوفسكى » أحد كبار البلشفيك وعضو مجلس (الدوما) (البرلمان الروسى بعد ثورة سنة ١٩٠٥) والذى تبين — بعد قيام ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ — بأنه كان أحد عملاء الجاسوسية للبوليس السرى القيصرى بين صفوف أعوان لينين . كان من المتعذر على ستالين أن يهرب من منفاه الجديد هذه المرة لطبيعة المنطقة التى نفى إليها والتى لم يكن ينفى إليها إلا كبار الخطرين ، ولذلك بقى ستالين فى منفاه هذا إلى أن أفرج عنه بعد ابتداء قيام الثورة فى شهر مارس سنة ١٩١٧ .

بعد أحداث شهر يوليو سنة ١٩١٧ وقرار « كيرنسكى » رئيس الحكومة الروسية المؤقتة القبض على لينين لاتهامه بالعماله للقيادة الألمانية عقد فريق من زعماء البلشفيك اجتماعاً سرياً بعد منتصف الليل فى مسكن عامل اسمه

(الليلوبيف) لمناقشة الاتهام الموجه إلى لينين وكان من رأى لينين مواجهة الاتهام والدفاع عن نفسه غير أن المجتمعين رأوا أن لينين بذلك يسلم نفسه إلى جلاديه وقرروا أنه يجب عليه أن يهرب إلى خارج روسيا ، وهرب فعلا . فى هذا الاجتماع قابل ستالين لأول مرة ابنه (الليلوبيف) التى تزوجها فيما بعد .

بعد هروب لينين إلى خارج روسيا تولى ستالين زعامة الحزب داخل روسيا . كان واضحاً بأن فشل الحكومة المؤقته فى روسيا بزعامة كيرنسكى فى مواجهة مشاكل فترة ما بعد تنازل القيصر عن العرش فى مارس سنة ١٩١٧ ، وهى مشاكل استمرار الحرب مع ألمانيا ومطالب العمال ، قد أدى بالجماهير إلى الاتجاه نحو البلشفيك لحسم الموقف ، ولم يكن هؤلاء من سكان المدن الصناعية الكبرى فقط بل من سكان القرى أيضاً ، وكانت الأحوال قد بلغت حداً كبيرا من السوء فى كافة انحاء الامبراطورية الروسية.ولذلك فيمكن القول باطمئنان إلى أن الثورة الروسية فى الفترة ما بين يناير سنة ١٩١٧ ونوفمبر من نفس السنة كانت حركة الملايين الذين يطالبون بالخبز والحياة ، وكانت قبل كل شىء أنتفاضة الجماهير التى امتلأت مرارة من حكامها ومستغليها ، وقد نجح البلشفيك فى تزعم تلك الجماهير لأنهم نجحوا فى إقناعها بأن سياستهم هى السياسية الوحيدة التى تكفل تخليصهم مما هم فيه .

عرف ستالين فى أوساط الحزب بأنه الرجل ذو الإرادة الحديدية الذى لا يرهبه أى موقف خطير يواجهه . من سنة ١٨٩٨ إلى سنة ١٩١٧ (١٩ عاما) كانت أشد سنوات العمل والكفاح فى حياة ستالين فقد تحمل خلالها من أجل الثورة فى صبر وثبات كل أنواع الآلام والحاجة والقبض والسجن . دخل كل من هتلر وموسولينى السجون ولكن ستالين كان كلما أغلق عليه باب السجن عمل على الهرب منه ، قبض عليه بوليس القيصر خمس مرات وأبعده إلى أماكن نائية ولكنه تمكن فى الأربع مرات الأولى من أن يفر من منفاه . فى المرة الخامسة — أبعده البوليس إلى مكان سحيق فى المنطقة القطبية من سيبيريا حيث يبعد كبار الخطرين على النظام القيصرى ولم ينج

هذه المرة من الأبعاد إلا بعد قيام الحكومة المؤقته بعد تنازل القيصر عن العرش والافراج عنه ضمن كافة المبعدين السياسيين من بلشفيك ومنشفيك .

كان ستالين فى واقع الأمر أرهابياً منذ شبابه ، كان الحزب فى حاجة إلى المال ولذلك فقد أتبع ستالين سياسة السطو على البنوك وخزائن الحكومة . كان ستالين سنة ١٩٠٧ عضوا بلجنة الحزب فى تفليس وكان مسئولا عن حادث سطو خطير فى تلك السنة على حمولة من النقود مرسلة إلى أحدى خزائن الحكومة واستولى على ما قيمته ٧٥ ألف دولار . ألقى ستالين ورجاله المسلحون فى تلك العملية القنابل اليدوية أثناء القيام بعملية السطو فقتل عشرون شخصاً . أغضب ستالين بتلك العملية بعض زعماء الحزب وطرد من صفوف الحزب لفترة قصيرة ولكنه أعيد بعدها إلى عضويته .

فى سنة ١٩١٢ كتب ستالين كتاباً بعنوان « الاشتراكية والمسألة الوطنية » وكان يتزعم النواب البلشفيك فى مجلس الدوما .

فى مدينة باكو (على بحر قزوين) أصدر ستالين صحيفة أسماها « فرميا » باللغة الجورجيانية وتنقل ما بين استكهلم وكراكوفيا وبراج لحضور مؤتمرات الحزب الاشتراكى الديموقراطى .

فى سنة ١٩١٣ كان محررا فى « البرافدا » صحيفة الحزب عندما ألقى عليه القبض وأرسل إلى منفاه فى المنطقة القطبية .

ستالين يبدأ الصعود على سلم السلطة :

منذ أن أفرجت الحكومة الروسية المؤقتة عن ستالين وعاد من منفاه القطبى إلى بتروجراد فى شهر مارس سنة ١٩١٧ بدأت حياته الفعلية ، أنقلبت حياته من التآمر إلى التنظيم ومن التمرد على السلطة القائمة إلى التمسك بالنظام الإدارى . كان عضوا بالمكتب السياسى للحزب منذ إنشائه فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩١٧ وكان الاعضاء الآخرون — غير لينين — هم تروتسكى

وزينوفييف وكامينيف وسوكلنيكوف وبوبنوف ، وعند تشكيل أول حكومة للبلشفيك كان ستالين قوميسيرا للقوميات .

فى أواخر سنة ١٩٢١ مرض لينين ، ولكنه تمكن فى مارس سنة ١٩٢٢ من حضور المؤتمر الحادى عشر للحزب الشيوعى السوفييتى وألقى خطاباً أستعرض فيه نتائج سياسته الاقتصادية وعدد أخطاءها ووعد بتحسين أجهزة الدولة السوفيتية وأجهزة الحزب ونظام الإدارة . فى أواخر شهر مايو أصيب لينين بنكسة ونقل للعلاج فى مدينة « جوركى » وأقعده هذا المرض عن نشاطه فى العمل فانتخبت اللجنة المركزية ستالين سكرتيرا عاما للحزب ، وكان عمله الرئيسى لا يزال فى ميدان القوميات نظرا لكونه ليس روسيا ، ولما كانت روسيا السوفيتية مزيجاً من جنسيات وقوميات لا تقل عن المائة فقد كان على ستالين أن يكون منها أتحاداً متضامناً ، وأن يترك طابعاً من الاستقلال الذاتى المحلى على الأقل فى المظهر الخارجى ، وكان ستالين هو صاحب فكرة جمع شعوب جمهوريات الامبراطورية الروسية فى دولة فيدرالية تسمى أتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية يقوم الاتحاد فيها على أساس أختيارى بين شعوب متساوية فى الحقوق والاستقلال وتقوم دعائمه على مبادئ الدولية البروليتارية ، وتصبح روسيا دولة جديدة ذات قوميات متعددة لا مثيل لها فى التاريخ ، وهى الفكرة التى عرضت فى أجتماع ٢٠ نوفبر سنة ١٩٢٢ وأقرها أول مؤتمر لسوفييت أتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية فى ديسمبر من نفس السنة وأنتخب لينين رئيساً لمجلس قوميسيرى الشعب لاتحاد الجمهوريات الجديد .

فى نهاية سنة ١٩٢٢ عرف أيضاً بصفة قاطعة بأن حالة لينين الصحية أصبحت ميئوساً منها فبدأ ستالين يعد إعداداً حثيثاً للسيطرة على مؤتمر الحزب القادم وعلى كافة أجهزته فأجرى تعديلات فى الحكومة ووضع أعوانه وخلصاءه بكافة الأماكن الحساسة فى الحكومة والحزب ، وعندما ساءت حالة لينين الصحية وتوقف نهائياً عن العمل أنتقلت السلطة الفعلية إلى الثالوث زينوفييف ، كامينيف ، ستالين . بدأ الصراع الصامت بين زينوفييف وستالين إذ كان الأول الشخصية الأولى فى المكتب السياسى وكانت له

الأغلبية فى اللجنة المركزية ضد ستالين ، ولكن أغلبية زينوفييف هذه وأغلبيته فى اللجنة المركزية لم تمكنه من الوصول إلى مركز الزعامة لأن الوصول إلى مركز الزعامة يحتاج إلى السيطرة على مؤتمر الحزب ، وفى هذا المجال كانت سيطرة ستالين قد سبقته إلى المؤتمر (تفضل بمراجعة الجزء الأول من هذا الكتاب — صفحة ١٦٥) .

وصية لينين :

أعد لينين فى هذه الفترة « وصية سياسية » تحدث فيها عن بعض زعماء البلشفيك محاولا أن يرشح واحداً أو أكثر منهم ليخلفه وأنتهى بأن أوصى بأن تكون الزعامة من بعده مشاركة بين تروتسكى وستالين ، ولكنه أبدى شكوكه فى إمكانية تحقيق ذلك وتنبأ بانقسام فى الحزب إذا لم يتم تحقيق هذه المشاركة ، وأقترح تفادياً من الصدام بين الأثنين—أن ينحى ستالين عن سكرتارية الحزب . جاء فى تلك الوصية بأن ستالين قد جمع فى يده ، منذ أن تولى سكرتارية الحزب ، سلطات ضخمة وأبدى لينين شكوكه فى أن يتمكن ستالين من أستعمال تلك السلطات بحذر كاف . قال لينين بأن الرفيق تروتسكى لا يتحلى فقط بمقدرة ممتازة بل أنه شخصياً أقدر رجل فى اللجنة المركزية الحالية ، وعيبه أنه يبالغ فى الثقة بنفسه . وصف لينين ستالين بأنه فظ غير مخلص يسىء معاملة زملائه وأنه قادر على أن يسىء أستعمال السلطة التى تخولها له منصب سكرتير الحزب وقال بأنه يجب اقصاؤه عن سكرتارية الحزب لتفادى الانقسام ، وبينما كان لينين يقدر فيه حزمه ونظرته العملية إلى الأمور فقد كانت نظرته هذه فى كثير من الأحيان مكراً وخداعاً وأن لينين كان يلاحظ عليه الجهل وضيق الأفق السياسى وجفاء طباعه وعدم أكتراثه بأى شىء كان .

فى ٥ مارس سنة ١٩٢٣ أملى لينين على سكرتيره الخاص مذكرة أعلن فيها قطع كل علاقة شخصية له أو زمالة مع ستالين وأتهمه بأنه يعامل زوجته « كروبسكايا » بجفاء وغلظة . كتب ستالين بعد ذلك خطاب أعتذار إلى كروبسكايا ولكنها أخفت الكتاب عن زوجها لأن حالته الصحية كانت قد تدهورت .

لم يكن لكل ذلك أى تأثير على مركز ستالين فى الحزب ، وعمل ستالين — بعد وفاة لينين — على إخفاء كل أثر لتلك الوصية .

ستالين بعد وفاة لينين :

توفى لينين فى ٢١ يناير سنة ١٩٢٤ على أثر نزيف فى المخ ، وبدأ ستالين فى العمل منذ اللحظة الأولى لوفاته ، حمل ستالين — وهو وزينوفييف — نعش لينين . عندما أنتشر نبأ وصية لينين السياسية التى أساءت إلى سمعة ستالين ومركزه قام أعوان ستالين بطبع نصف مليون نسخة من صورة فوتوغرافية تمثل ستالين جالساً على (دكة) بجوار لينين وهما يتحدثان فى مودة واضحة . كان هناك من يقول « لينين يثق فى ستالين ، ستالين لا يثق فى أحد » .

بعد وفاة لينين بخمسة أيام ألقى ستالين خطابا فى مؤتمر السوفييت جاء به « ليس هناك أشرف من أن يحمل الإنسان لقب عضو فى حزب شكله لينين وتزعمه وليس من حق الجميع أن يصبحوا أعضاء فى مثل هذا الحزب كما أنه ليس فى مقدور الجميع أن يثبتوا أمام العاصفة والجهد اللذان يلازمان عضوية هذا الحزب . إن أبناء الطبقة العاملة ، أبناء الفقر والكفاح ، أبناء الحرمان الذى لا يمكن تصوره والجهد البطولى للحياه هم الذين يحق لهم أن يكونوا أولا أعضاء فى حزب مثل هذا » .

لما كان ستالين مؤمناً بأن المهادنة من أجل المحافظة على وحدة الحزب لا تتفق والصراع الطبقى ، وأن هذا الصراع لا يتحمل المهادنة فقد دخل صراعاً مريراً بعد وفاة لينين للمحافظة على وحدة الحزب وأتخذ إجراءات بحقد دفين للقضاء على كل معارضيه وأتهمهم بالهرطقة والخروج على مبادئ لينين التى أقام نفسه المفسر الوحيد لها .

ستالين يبعد كبار أعوان لينين عن السلطة :

كان ستالين غيوراً من تروتسكى منذ البداية وبدأ الصدام بينهما مبكراً منذ أيام لينين وما أن أكتملت السلطات بيد ستالين حتى عمل ، بالاشتراك

مع كامينيف ، وزينوفييف على — عزلة من منصب قوميسير الحرب : فى سنة ١٩٢٧ أشتد النزاع بينهما فطرده ستالين من عضوية اللجنة التنفيذية للشيوعية الدولية ثم من عضوية اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى .

فى المؤتمر الخامس عشر للحزب الشيوعى السوفييتى (خريف سنة ١٩٢٧) ، عندما شعر ستالين بازدياد المعارضة ضده أستصدر قراراً من المؤتمر بفصل كافة المعارضين من الحزب ووضعهم تحت تصرف البوليس السرى الروسى .

فى يناير سنة ١٩٢٨ قرر إبعاد تروتسكى إلى قرية على الحدود الروسية الصينية تبعد عن موسكو بأربعة آلاف كيلو مترا وبعدها بعام وجه إليه أتهاماً بأنه يقوم بنشاط معاد للثورة البلشفية وينظم صراعاً مسلحا ضد السلطة السوفيتية وقرر نتيجةلذلك إبعاده خارج أراضى أتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية .

كان ستالين فى سنة ١٩٢٧ قد طرد « زينوفييف » من رئاسة الدولية الثالثة وكان مركزها موسكو وقطع الإعانة عنها وأصبحت عمليا لا وجود لها تطبيقاً لمبدأ ستالين « روسيا أولا » .

أختلاف وجهات النظر السياسية بين ستالين وتروتسكى :

بجانب الخلافات الشخصية بين ستالين وتروتسكى فقد كان الخلاف أيضاً على المسائل السياسية ، كان لكل منهما وجهات نظر متباينة فى رسالة الاتحاد السوفييتى والفلسفة الماركسية . كان تروتسكى ينادى بالاندفاع بقوة فى التصنيع الشامل ضمن برنامج السنوات الخمس منذ سنة ١٩٢١ وكان يريد طرد الكولاك — (الفلاحين الأغنياء) من الأراضى فى سنة ١٩٢٥ الأمر الذى لم يقدم عليه ستالين إلا بعد خمس سنوات . كان تروتسكى باندفاعه يريد التنفيذ ولا يأبه بالوقت المناسب ولكن ستالين كانت لديه قوه الصبر لكى ينتظر الفرصة المناسبة .

أبدى تروتسكى وأعوانه أنزعاجهم من سير الأمور فى الاتحاد السوفييتى بعد وفاة لينين ، كانوا يقدرون بأن تثبيت الاشتراكية فى روسيا يسير ببطء ،

كان مصدر تخوفهم هو أن أستراتيجية لينين التى كانت موقوتة بظروفها والتى سمحت ببعض الحريات للقوى الرأسمالية (ما سمى بالسياسة الاقتصادية الجديدة) سوف تستمر . كان تروتسكى يرى بأن الشيوعية فى روسيا — وهى التى حققت بعض المكاسب الهزيلة — سوف تندثر إن لم تساعدها ثورات البروليتاريا فى بلدان العالم الخارجى . أقام تروتسكى عقيدته على أساس « الثورة المستديمة » ولذلك فلم يكن يعتقد — كما كان ستالين يعتقد — بأن الاشتراكية يمكنها أن تنجح فى دولة واحدة . كان يرى بأن النظام الماركسى يمكنه أن يثبت أقدامه فى روسيا عندما تتمكن الثورة المستديمة والمتجددة فى روسيا . كان ستالين يعارض هذا الرأى ويطالب الماركسيين خارج روسيا بأن يصبروا عليه حتى ينتهى من تنظيم البيت أولا ثم يهب ماركسيو روسيا لنجدة رفاقهم خارجها لأن على روسيا أن تعطى المثل الحى للنجاح فى تطبيق الماركسية ، ولكن تروتسكى صمم على أن يأتى العالم الخارجى أولا وكان يدعو الماركسيين خارج روسيا إلى تحرير أنفسهم من الأغلال فورا .

ظل ستالين يعزز مركزه فى روسيا على مدى خمس سنوات ، كان يتهم أعداءه واحدا بعد الآخر بالانحراف عن خط السير والهرطقة ضد اللينينية التى أقام نفسه المفسر الوحيد لها ، ومن وجهت إليه تلك التهمة أستحق عليها أشد العقاب .

بهذه الطريقة قضى ستالين على المعارضة اليسارية التى كانت تتمثل فى تروتسكى وزينوفييف وكامينيف وعلى المعارضة اليمينية التى كانت تقول بأن الاشتراكية فى روسيا تسير بخطى سريعة للغاية وكانت تتمثل فى بوخارين وريكوف وتومسكى وآخرين وبذلك تمت سيطرة ستالين على الحزب سيطرة تامة .

يقول تروتسكى فى مذكراته التى كتبها سنة ١٩٣٠ بأن السيدة كروبسكايا زوجة لينين قد صرحت فى يوم ما سنة ١٩٢٧ بأنه لو كان لينين على قيد الحياة وقتئذ لكان من المحتمل أن يكون فى أحد سجون ستالين . كما أن تروتسكى

كان يردد دائماً بأن ستالين كان دائم التفكير فى دس السم للينين ، وأن تروتسكى لا يستبعد أبداً أن يكون ستالين قد دس السم فعلا للينين .

فى سنتى ١٩٢٤ و ١٩٢٥ نظم تروتسكى أول معارضة لستالين وفى سنة ١٩٢٧ نظم معارضة أخرى له إذ كان ينادى بتطبيق سياسة التصنيع السريع الشامل ويفرض ضريبة على الطبقة المتوسطة من الفلاحين :

فى سنة ١٩٢٨ بدأ الجناح اليمينى فى الحزب بتنظيم معارضة لستالين وظلت هذه المعارضة مستمرة حتى سنة ١٩٣٣ بزعامة بوخارين الذى كان يرى بأن التسرع فى إقامة الكيان الاشتراكى فى روسيا يعرض الدولة للمخاطر ولذلك فقد كان يطالب ستالين بالسماح للفلاحين بأن يحسنوا أحوالهم حتى يمكن الانتقال بهم فى هدوء وسلام إلى الاشتراكية . كان ستالين يرى بأن كل تلك الآراء تؤدى إلى تخريب الدولةالسوفيتية القائمة على تحالف العمال مع جماهير الفلاحين . لم ينجح معارضو ستالين فى فرض آرائهم عليه بسبب زعامته القوية فى الحزب .

واجه ستالين مصاعب لا حصر لها فى تصنيع روسيا بمقتضى برنامج الخمس سنوات وطالب السوفييت ببذل جهود ضخمة لنجاح هذا التصنيع وقال فى هذا الشأن « أن قانون الغاب للرأسمالية هو القضاء على الضعيف والمتخلف . . . إننا متخلفون عن الدول المتقدمة بخمسين عاما إلى مائة عام ، وعلينا أن نلحق بهم فى مدى عشر سنوات . . . أما أن نفعل ذلك وإلا فإنهم سيسحقوننا » .

غير أن المصاعب الرهيبة لستالين لم تحدث فى الميدان الصناعى بل فى قطاع الزراعة إذ لم يكن من السهل على الحزب الشيوعى أن يقضى على الحياة التقليدية لأجيال عديدة عاشت فى القرى وأن يستبدلها بتنظيم مزارع جماعية على أساس الميكنة الزراعية فى وقت كانت القرى الروسية مركزاً للفقر والجهل والتخلف ، وكانت القسوة وسوء المعاملة هى طابع حياة الفلاحين اليومية ، بل كانت تلك التقاليد تبدو وكأنها قديمة قدم الأرض نفسها .

كان مركز النفوذ الرأسمالى والسياسى فى القرى الروسية هو طبقة

« الكولاك » وهى الطبقة المتوسطة لأصحاب الأرض الذين يستخدمون الفلاحين الأجراء ، والذين يقرضون المال والماشية للفلاحين الفقراء الأجراء ، وهم أيضاً الذين كانوا يمتلكون مطاحن الغلال . كان ستالين يرى بأن تلك الطبقة لن تمد يدها إلى الفلاحين الأجراء أو إلى الفلاحين الفقراء لبناء هيكل جديد للتنظيم الزراعى الاشتراكى ولذلك يجب القضاء عليها كما قضى على طبقة الرأسمالية فى المصانع وعلى طبقة الإقطاعيين من أصحاب الملكيات الزراعية الكبيرة .

ولما كان توسع الحكومة فى تقديم القروض لفقراء الفلاحين وعدم فرض ضرائب عليهم يشجعهم على الأنضمام إلى المزارع الجماعية فقدأ علن ستالين الحرب على الكولاك . ومما يدعو إلى الأسف أن كثيراً من الشيوعيين قد أعتبروا كافة الفلاحين الفقراء الذين لم تكن تستهويهم فكرة المزارع الجماعية أعداء وعاملوهم معاملة الكولاك إذ كان ستالين يرى بأن إصدار الأوامر وتنفيذها الجبرى خير من تضييع الوقت فى الإقناع . تضامنت طبقة كبيرة من الفلاحين مع الكولاك فى مقاومة تنفيذ نظام المزارع الجماعية الجديد وأخذوا يذبحون الماشية على نطاق واسع ولا يسلمونها إلى مراكز التجميع كما أخذوا يخربون الزراعات ويقتلون المكلفين بتنظيمها ، بدا وكأن نجاح النظام الزراعى الجديد قد أصبح فى الميزان . بدأ ستالين يتصرف بسرعة وفى قوة ، أخذ يعاقب بشدة كل من أساء التصرف مع الفلاحين من موظفى الحكومة وطالب المشرفين بضرورة إرشاد الفلاحين إلى طرق تنظيم العمل على الزراعة الجماعية . لم يثبت النظام الجديد نجاحه فى التطبيق العملى فى أماكن عديدة وأنتشر الحديث عن الفشل الذى أصيب به والكوارث التى نتجت عنه . .

أعلن ستالين بأنه لا يلوم الفلاحين لعدم تقبلهم النظام الجديد وأن اللوم يقع على الشيوعيين لعدم تلافيهم لما ظهر من عيوب فى التطبيق ومواجهتها بحلول مرضية ، وأخذ ستالين يعالج مشكلات التطبيق وينادى بأن يكون أنعاش كل فلاح هو هدف تطبيق نظام المزارع الجماعية الجديد ، ولكن ستالين لم ينس فى ندائه هذا طريقته المثلى فى تطبيق نظريته وهى العنف والإجبار .

مجاعة رهيبة تجتاح الاتحاد السوفيتى فى ربيع سنة ١٩٣٣ :

حدثت مجاعة رهيبة فى ربيع سنة ١٩٣٣ فى المناطق الشاسعة المنتجة للحبوب فى الاتحاد السوفييتى شمال القوقاز وفى أوكرانيا ، ذهب ضحيتها عدد قدر بسنة ملايين نسمة . لم يكن ضخامة هذا العدد هو المهم فى نظر الحكام الشيوعيين بل المهم هو أن الحكومة السوفييتية كانت طرفا فى معركة تاريخية من أجل أشتراكية الأرض مع الزراع أنفسهم الذين قاوموا النظام الجديد وتحملوا نتائج هذه المقاومة ، من أجل مقاومة النظام الجديد المفروض عليهم رفضوا جمع محصول القمح ولم يكن لديهم ما يكفى قوتهم فهلكوا .

كانت الخطة الخمسية تتضمن « تجميع الفلاحة » . وفى سنة ١٩٢٧ كانت روسيا تشتمل على ٢٥ مليون حيازة زراعية تقريباً . كانت خطة ستالين تجميع تلك الحيازات فى مزارع جماعية يطبق عليها النظام الاشتراكى فى العمل وعندما بدأ فى تنفيذ النظام الجديد كان على المزارعين أن يسلموا ما لديهم من آلات وماشية لمدير المزرعة الجماعية وأن يشتغلوا مع الآخرين فى حيازة واحدة كبيرة بواسطة جرارات زراعية ميكانيكية تقدمها لهم الحكومة ، وكانت هذه — باختصار — فكرة الإصلاح الزراعى فى الخطة الخمسية وكان نجاح تنفيذها يتوقف عليه نجاح الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى بصورة أوضح نظراً للطابع الزراعى الغالب على الاتحاد السوفييتى .

غضب الفلاحون من النظام الجديد فلجأوا أولا إلى ذبح ماشيتهم بدلا من تسليمها إلى إدارة المزرعة الجماعية وكانت كارثة تبينت خطورتها عندما أنتهى هذا الذبح إلى قيام مجاعة بعد ذلك بوقت غير طويل ، شمل الذبح الخنازير والابقار والغنم . لم تكن هناك تنظيمات ولا مواصلات ميسرة للتنقل

أعترف ستالين بعد أربع سنوات من بدء تنفيذ النظام بالكارثة الرهيبة التى لم يكن هناك سبيل إلى أخفائها وأصيب الاقتصاد السوفييتى بصدمة قاتلة . قدر عدد الماشية التى ذبحت فى السنة الأولى من بدء تنفيذ النظام بخمسين فى المائة من إجمالى عددها .

قالت الأحصائيات السوفيتية الرسمية بأن العدد أنخفض من سنة ١٩٢٨ (عند بدء تنفيذ النظام) إلى سنة ١٩٣٢ ، كما يلى :

الخيل	من ٣٣ مليون ونصف	إلى ١٩ مليون و ٦٠٠ ألف
الماشية	من ٧٠ مليون ونصف	إلى ٤٠ مليون و ٧٠٠ ألف
الغنم والماعز	من ١٤٦ مليون و ٧٠٠ ألف	إلى ٥٢ مليون و ١٠٠ ألف
الخنازير	من ٢٥ مليون و ٩٠٠ ألف	إلى ١١ مليون و ٦٠٠ ألف

لم تدرك الحكومة السوفيتية ولم يدرك ستالين خطورة الموقف على حقيقته إلا متأخراً ، وأدركوا بأن تنفيذ النظام قد بدأ بسرعة أكثر مما كان يجب . كانت الخطة فى مبدئها تشمل تجميع الحيازات فى مزارع جماعية كبيرة على مدى عشر سنوات ، غير أنه بعد سنتين (أى فى سنة ١٩٣٠) كان قد تم تجميع ٦٥ فى المائة من جميع الحيازات فى مزارع جماعية ، ولذلك تقرر التطبيق على مهل فيما تبقى من الحيازات .

فى سنة ١٩٣٢ عاد الفلاحون فى القوقاز وأوكرانيا إلى المقاومة من جديد ، زرعوا الأرض التى أعطت محصولا وفيراً فى موسم الحصادولكنهم حصدوا منه ما يسد حاجتهم فقط خلال فصل الشتاء وتركوا باقى المحصول ليتلف . كانت هذه ولا شك حالة عصيان مدنى على نطاق كبير يقوم بها الفلاحون ، وبمعنى آخر حالة تحدى لنظام ستالين . كانت الحكومة السوفيتية فى أمس الحاجة إلى القمح لتموين المناطق الصناعية فى المدن الكبرى وفى حاجة أيضاً إلى القمح لتصديره إلى الخارج كى تحصل على الآلات التى كان عليها أن تستوردها لتنفيذ الخطة الخمسية . كان الفلاحون فى المزارع الجماعية هم أيضا يتركون القمح معرضاً للتلف وكان عدد المشرفين الشيوعيين قليلا وأكثرهم قليل الخبرة والتجربة بإدارة المزارع . أكدت الاحصائيات الحكومية بأن جانباً كبيراً من المحصول الذى كان من المنتظر أن يكون وفيراً قد تلف ورأى ستالين فى هذه النتيجة أزمة خطيرة وأنه أن ترك المزارعين وشأنهم دون عقاب بعد هذا العصيان فقد يكون خطراً أعظم على الثورة الاشتراكية نفسها فقرر أن ينزل مندوبوا الحكومة إلى المزارع وأن يستولوا بالقوة — نظير الضرائب المستحقة — وعلى ذلك الجزء من القمح الذى حصده الفلاحون

واختزنوه لاستهلاكهم الخاص ، وطبيعى أن لا يتبقى للفلاح — بعد أن يعطى لمندوب الحكومة جانباً كبيراً مما أختزنه — إلا القدر اليسير لاستهلاكه هو وعائلته بما لا يكفى للقوت الضرورى . ولما كان القمح فى الاتحاد السوفيتى هو مادة الحياة للشعب فقد بدأ المزارعون يموتون من الجوع بأعداد كبيرة . كان بإمكان ستالين أن يعيد إلى القرى جانباً من القمح الذى أختزنته الحكومة فى المدن الكبرى ولكن ستالين رفض ذلك لأنه أراد أن يدفع المزارعون ثمن العصيان الذى قاموا به .

اتخذ ستالين إجراءات رهيبة للقضاء على طبقة الكولاك (الفلاحين الأغنياء) بوسائل مباشرة ، كان يطلق عليهم « الزراع الرأسماليين » أو « أعداء الطبقة العاملة على الجبهة الزراعية » . كان عددهم طبقا للإحصاءات الرسمية فى سنة ١٩٢٨ (٧٥٠ ألفا) قضى عليهم جميعاً ، أقتلعهم من مزارعهم كما تقتلع الأشجار وشحنهم فى عربات سكك حديدية خصصت لنقل المساجين إلى معتقلات العمل فى أماكن نائية من البلاد وأجبروا على العمل فى بناء خطوط السكك الحديدية وحفر القنوات .

من سنة ١٩٣٠ إلى سنة ١٩٣٥ أمكن تجميع ٢٥ فى المائة أخرى من الأراضى حتى تم تطبيق النظام بأكمله فى ربع مليون مزرعة جماعية فى كافة الاتحاد السوفيتى . هكذا حاول الفلاحون السوفيت أشعال الثورة وكان من المحتمل أن تؤدى هذه الثورة إلى أنهيار النظام الاشتراكى وفشل تطبيق الاشتراكية ولكن ثورة الفلاحين أنهارت أمام جبروت ستالين . لقد قتل الفلاحون ماشيتهم ثم قتلوا أنفسهم .

كان لينين يقدر فترة من الزمن تتراوح ما بين عشر سنوات وعشرين سنة لتنفيذ قيام المزارع الجماعية (الكولكوز) فى كافة أنحاء الاتحاد السوفيتى ولم يكن يرى دفع الفلاحين إلى تلك المزارع كما تدفع الماشية ولكن خليفة لينين كان يؤمن بمبدأ الإكراه العنيف فى التنفيذ ، لقد نجح ستالين بطريقته ، وهى إراقة الدماء ، لقد دفع بقوات الجيش والبوليس وبكل القوى التى تحت تصرف الحكومة إلى القرى والمزارع ، أبعدت مئات الألوف من العائلات عن مساكنها ، كان العدو الذى يحاربه النظام السوفيتى هو

طبقة (الكولاك) أى الفلاحين الأغنياء ولكن القمع والرمى بالرصاص والشنق والإغراق قد شمل ملايين من الفلاحين الفقراء ومتوسطى الحال لأنهم عارضوا تنفيذ النظام الجديد وأصابهم ما أصاب الكولاك أنفسهم .

فى ربيع سنة ١٩٣٣ أعلن ستالين بأن القضية قد ربحت وأن وقت الرحمة قد أزف ، وجاء فى تعليمات سرية أمضاها كل من ستالين ومولوتوف ما يلى :

« بعد النجاح الذى حققناه فى المزارع جاء الوقت الذى لا نشعر فيه بحاجة إلى القمع الجماعى » ، « شملت التعليمات إنهاء عمليات القبض بالنسبة للنفى إلى سيبيريا فقد حددت نسبة لا يجوز تجاوزها ، كما حدد النفى إلى أوكرانيا بالنفى عائلة وإلى القوقاز الشمالى بألف عائلة ومثلها إلى أواسط الفلجا وهكذا ، كما شملت التعليمات إنقاص عدد المقبوض عليهم فى السجون من ٨٠٠ ألف إلى ٤٠٠ ألف .

جاءت هذه التعليمات متأخرة بعد أن أجتاحت المجاعة القرى وحلت المجاعة محل وسائل القمع والإرهاب فى القضاء على الفلاحين . فى أوكرانيا مات مئات الألوف من الفلاحين جوعاً وتدخل الجيش لحرق جثث الموتى وتطهير أكواخ الفلاحين .

أحدثت تلك الحملات الإرهابية مرارة فى نفوس أهل أوكرانيا إلى درجة أن قاموا للأخذ بالثأر من السلطات بمجرد أن أحتل الألمان أوكرانيا فى سنة ١٩٤١ ، وكان أكثر أهل أوكرانيا تعاوناً مع الألمان هم طبقة الفلاحين ، أو الذين أصيبوا من حملات الأرهاب فى الثلاثينيات .

كانت حملة الأرهاب ضد الكولاك ومجاعة ١٩٣٢ — ١٩٣٣ من الظواهر التى عملت السلطات السوفيتيه على اخفائها بمهاره فى الثلاثينيات صرح طبيب من أوكرانيا — بعد وفاة ستالين — بأنه حظر على المستشفيات حظراً تاما أن تعلن عن حالة وفاة نتيجة سوء التغذية وصدرت التعليمات بأن يدون فى سجلات المستشفيات أى مرض آخر سبب الوفاه ، ولم يتمكن الكتاب السوفيت من التحدث عن أهوال تلك المجاعة إلا بعد ثلاثين عاما

من أحداثها وبعد وفاة ستالين . تقدر الاحصائيات السوفيتية عدد الكولاك الذين ماتوا أو أبعدوا عن مزارعهم بخمسة ملايين .

يروى تشرشل نص حديث دار بينه وبين ستالين فى الأسبوع الثانى من شهر أغسطس سنة ١٩٤٢ عند أجتماعهما فى موسكو لتنسيق شئون الحرب ضد هتلر كما يلى :

(الجزء الرابع — ص ٤٤٧ من مذكرات تشرشل عن الحرب العالمية الثانية (.

تشرشل : قل لى ، هل متاعب هذه الحرب أشد عليك شخصياً من المتاعب التى صادفتك عندما كنت تطبق سياستك بشأن المزارع الجماعية.

ستالين : لا . . أبدا . . لقد كان تطبيق نظام المزارع الجماعية صراعا مخيفاً .

تشرشل : كنت أعتقد بأنك وجدتها سياسة سيئة لأنك لم تكن فى صراع مع الارستقراطيين أو مع كبار ملاك الأراضى ولكن مع الملايين من صغار الناس .

ستالين : مع عشر ملايين . . . كان ذلك حقا أمراً مخيفاً . . . لقد أستمر هذا الصراع أربع سنوات وكان ذلك أمراً ضرورياً لروسيا إذا أردنا أن نتجنب المجاعة التى كانت تجتاحنا من بين حين وآخر ونحرث الأرض بالجرارات (التراكتورز) . كان يجب علينا أن نعمل على ميكنة زراعتنا ، عندما سلمنا الجرارات إلى الفلاحين أفسدوها فى أشهر قليلة ، وكانت المزارع الجماعية المزودة بالورش هى التى يمكنها أستخدام الجرارات . لقد عانينا كثيراً فى أفهام الفلاحين والشرح لهم ولم تكن هناك فائدة من التفاهم معهم . عندما كنت تقول كل ما يمكنك أن تقوله للفلاح لإقناعه يجيبك بأنه سيعود إلى منزله لكى يستشير زوجته وصاحب المال الذى يرعاه وبعد أن يتحدث إلى هؤلاء يعود إليك ليقول بأنه لا يريد المزرعة الجماعية وأنه فى غنى عن الجرار فى زراعته .

تشرشل : هؤلاء هم الذين تسمونهم (كولاك » .

ستالين : نعم . . . لقد كانت تجربة قاسية ولكنها كانت ضرورية.

يقول تشرشل تعليقاً على هذا الحديث « والجميع يعرفون الطريقة التى يعامل بها ستالين معارضيه . . . » .

مما يدعو إلى الدهشة أن الاحصائيات الحقيقية تظهر بأن الثروة الحيوانية بالنسبة لعدد السكان فى الاتحاد السوفيتى قد هبطت عما كانت عليه سنة ١٩١٦ ، وهى آخر سنة فى الحكم القيصرى لروسيا .

فى شتاء سنة ١٩٤٦ — ١٩٤٧ عادت المجاعة من جديد فى أوكرانيا وفى روسيا البيضاء اللتان خربتهما الحرب ، وأدى الجفاف إلى ظهور شبح الموت من جديد لمئات الألوف من الأهالى وبدأت القصص تروى عن حالات أكل لحوم البشر .

يقال بأن المسئولين كانوا يخفون حقيقة الحال عن ستالين وكانوا يعرضون عليه فى الكرملين أفلاماً سينمائية لا تصور حقيقة الأحوال بل تصور الإنتاج الزراعى والحيوانى الكبير المزدهر ، كما تصور الفلاحين على غير حقيقة البؤس الذى يعيش فيه أكثرهم إذ أن آخر أتصال لستالين بحياة القرى كان فى سنة ١٩٢٨ عندما أخذ يطوف سيبيريا لمدة ثلاثة أسابيع يحث الفلاحين على الاهتمام بتسليم القمح ، ومنذ ذلك الحين لم يدخل ستالين قرية أبدا .

فى سنة ١٩٥٢ كان ستالين يرى بأن مزارع (الكولكوز) لا تزال تنظيما فى منتصف الطريق إلى الاشتراكية الحقيقية طالما بقيت مساكن الفلاحين متباعدة عن بعضها وأن مستقبل العمل الاشتراكى فى الزراعة يكمن فى مزارع الحكومة (سوفكوز) إذ عندما يكون الفلاحون فى خدمة مزرعة حكومية حقيقية يصبحون عمالا كعمال المناجم أو عمال الحديد والصلب . كانت مزارع (سوفكوز) فى ذلك الوقت قليلة العدد بالنسبة لعدد مزارع (الكولكوز) ، ولم تكن هناك خطة لزيادتها .

فى نهاية صيف سنة ١٩٥٢ أعلن ستالين بأن نظام (الكولكوز) قد

أشرف على الانتهاء » وأن التناقضات ستصفى وذلك بتحويل ملكيات مزارع الكولكوز تدريجيا إلى ملكيات حكومية » وفى أنتظار هذا التحويل بدأ فى تجميع مزارع الكولكوز فى قطاعات كبيرة حتى يمكن تنظيمها والاشراف عليها إداريا ، وكان المبشر بنظرية هذا التجمع هو « نيكيتا خروشتشوف » الذى كان مهتماً بدراسة المشاكل الزراعية وتتبع تطورها وخرج بفكرة إقامة « المدن الزراعية » أو بمعنى آخر « إقامة المدن فى المزارع » وتجميع الفلاحين فى تجمعات ضخمة على نسق سكان المدن ، أيده فى هذه الفكرة « مالينكوف » و « بريا » — كما كانا يفعلان دائماً — ولكن هذه الفكرة لم تخرج إلى حيز التنفيذ والوجود .

رأى ستالين فى كيفية معاملة الحلفاء لألمانيا بعد هزيمتها :

فى خلال أجتماعات مؤتمر طهران (٢٨ نوفبر — أول ديسمبر سنة ١٩٤٣) بين روزفلت وستالين وتشرشل ، أبدى ستالين رأيه فى السياسة التى يجب على الحلفاء أتباعها مع ألمانيا بعد هزيمتها . كان يرى بأن لدى ألمانيا كل القدرات التى تمكنها من النهوض وأبتداء أستعدادها لاثارة حرب جديدة بعد هزيمتها بوقت قصير . قال بأن السلام بدا مضموناً بعد فرساى عند أنتهاء الحرب العالمية الأولى ولكن ألمانيا نهضت سريعاً من كبوتها ولذلك يجب إقامة جهاز لمنع ألمانيا من أبتداء حرب جديدة . كان يرى وجوب تحديد قدرة المانيا الصناعية لأن الشعب الألمانى شعب قادر على التصنيع ولديه موارد ضخمة ، لقد كانت هناك رقابة بعد الحرب العالمية الأولى ولكنها فشلت . قال ستالين بأن الضباط الروس كانوا يسألون أسرى الحرب الألمان الذين جاءوا من طبقة العمال عن سبب تفانيهم فى القتال من أجل هتلر فكانوا يجيبون بأنهم ينفذون الأوامر التى تصدر إليهم فكان ستالين يأمر باعدام هؤلاء رميا بالرصاص .

قال ستالين بأن قوة هتلر العسكرية الضخمة تعتمد على خمسين ألفا تقريباً من الضباط والفنيين وكان يرى إعدام هؤلاء جميعاً رميا بالرصاص لإمكان القضاء نهائيا على قوة المانيا العسكرية .

كانت للرئيس روزفلت خطة لتقسيم ألمانيا بعد الحرب إلى خمس دول مستقلة ويبقى قسمان آخران تحت أشراف الأمم المتحدة كأراضى تحت الانتداب ولم يكن لدى ستالين مانعاً من الموافقة على تلك الخطة ولو أنه كان يقول بأنه ليس هناك فرق بين ألمانى من منطقة وألمانى من منطقة أخرى إذ أن جميع الألمان يحاربون كالوحوش الكاسرة وعندما يتجمعون فى جيوش كبيرة فى الحرب فإنهم يحاربون كالشياطين .

ستالين وغزو الحلفاء لفرنسا فى ٦ يونيه سنة ١٩٤٤ :

بعد نجاح عملية غزو الحلفاء لساحل فرنسا الشمالى أبرق ستالين إلى تشرشل يوم ١١ يونيه بتهنئة جاء بها « لا يسعنى وزملائى ألا أن نعترف بأن تاريخ الحروب لا يعرف مثيلا لهذه العملية من حيث تخطيطها وضخامتها ولا من حيث تنفيذها . لقد فشل نابليون فى زمانه فشلا ذريعاً فى أختراق بحر المانش ، أما هتلر الذى ظل سنتين يفاخر فى هيستيرية بأنه سيعبر المانش لم يتمكن من أن يصل إلى قرار حتى فى محاولة تنفيذ تهديده . أن حلفاءنا فقط الذين تمكنوا من أن ينفذوا بفخر تلك الخطة الضخمة فى العبور وسيسجل التاريخ هذا العبور كعمل من أعظم الأعمال ».

قصة أنكل جو :

فى مساء ١٠ فبراير سنة ١٩٤٥ وخلال اجتماع الثلاثة الكبار روزفلت وستالين وتشرشر فى مؤتمر يالتا ، وكان آخر اجتماع لهم ، كان روزفلت ضيف ستالين على العشاء وأراد روزفلت أن يمزح معه فقال له أنه وتشرشل كانا يشيران فى برقياتهما السرية جداً المتبادلة بينهما إلى ستالين باسم « أنكل جو » ، وعلى غير توقع من روزفلت غضب ستالين عندما سمع ذلك واكفهر جو المأدبة لبرهة وقال « متى يمكننى أن أترك هذه المائدة » ، ولكن المستر بيرنز عضو الوفد الأمريكى إلى المؤتمر أنقذ الموقف بملاحظة سريعة قائلا لا حرج أن تتحدث عن « أنكل سام » فلماذا يكون « أنكل جو » تعبيرا سيئاً » ،وهنا هدأ ستالين وزال غضبه . أكد مولوتوف بعد ذلك لتشرشل بأن ستالين قد فهم القصد من المزاح لأن ستالين كان يعلم بأن كثيرين خارج

روسيا يطلقون عليه « أنكل جو » ، وأن هذه التسمية قد أعطيت له بروح ودية .

علاقة ستالين بزعماء دول شرق أوربا (الديموقراطيات الشعبية) :

فى سنة ١٩٤٨ ساءت علاقات المارشال تيتو بستالين ، فخشى ستالين أن تنتقل عدوى العداء له إلى باقى زعماء دول « الديمقراطيات الشعبية » فى شرق أوربا فلجأ إلى حملة تطهير ، أعدم منذ سنة ١٩٤٩ بعض زعماء الشيوعيين فى تلك الدول منهم راجك (Raik) وزير خارجية المجر وكوستوف (Kostov) نائب رئيس وزراء بلغاريا وكسوكس (Xoxe) نائب الرئيس الألبانى بتهمة مشايعة المارشال تيتو . زج ستالين فى السجون بعديد من كبار المسئولين فى دول « الديمقراطيات الشعبية » كما حدث لجومولكا فى بولندا ، ولـ (كادار) فى المجر ، ولـ (هوزاك) فى تشيكوسلوفاكيا . كثرت المحاكمات لكثيرين من مختلف الطبقات وانتشر المستشارون السوفييت فى كافة الدول الخاضعة لنفوذ الاتحاد السوفييتى لتنظيم تلك المحاكمات .

لقد كان الماريشال تيتو زعيماً تولى السلطة فى بلاده بجهاده وقيادته بعد أن حررها من الألمان ولم يكن ينتظر مساعدة من ستالين أو من الجيش الأحمر ، وكان الماريشال تيتو ورجاله يريدون أن يكونوا أحراراً مستقلين فاستحقوا الحرية واستحقوا الاستقلال . عمل ستالين على تصفية الكثيرين من الشيوعيين الذين حملوا السلاح فى الماضى من أجل الشيوعية واستقروا فى بلادهم لا يعترفون بفضل موسكو عليهم لأن ستالين كان لا يطمئن ولا يحب هذا النوع من الشيوعيين ورماهم بالتعلق بمبادئ تروتسكى والصهيونيـــة .

قام ستالين أيضاً بحملة على اليهود وقضى على الكثير من كبارهم إذ كان لا يطمئن إلى ولاءهم له حتى أكثرهم تعلقاً بالشيوعية وأشدهم حماساً للاستالينية أمثال (أنابوكر) فى رومانيا و (روكوزى) فى بودابست .

حكومة ستالين والدبلوماسيون الأجانب :

فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٢ قررت الحكومة السوفيتية تحديد حرية التنقل

للدبلوماسيين الأجانب فى الاتحاد السوفيتى وسمحت لهم بإمكانية الانتقال إلى عشرين مدينة من مدن الاتحاد السوفيتى (يوجد بالاتحاد السوفيتى ١٥٠٠ مدينة) بشرط الحصول على إذن مسبق بالانتقال إلى إحدى تلك المدن العشرين ، ولا يسمح للدبلوماسيين بالانتقال إلى غير تلك المدن العشرين مهما كانت الأسباب ، كما لا يسمح لهم بالانتقال إلى أبعد من خمسين كيلو مترا من موقع السفارة فى موسكو بدون ترخيص . اتخذت دول حلف الأطلنطى إجراءات مماثلة فحرمت على الدبلوماسيين الروس فى باريس تعدى حدود محافظات السين ، والسين أوواز ، والسين مارن إلا بترخيص مسبق .

فى أكتوبر سنة ١٩٥٢ كان المستر « جورج كينان » ، وهـو من الدبلوماسيين الأمريكيين المرموقين سفيراً لبلاده فى موسكو ، وفى حديث له قال « اعتقلنى النازى فى برلين ، وأنا الآن فى موسكو ، الفرق الوحيد أنه فى موسكو يمكننى أن أتمشى فى الشوارع بشرط أن لا أتحدث إلى أى شخص » . فور هذا الحديث اعتبرته السلطات السوفيتية شخصاً غير مرغوب فيه Persona non grata وطلبت منه مغادرة الاتحاد السوفيتى فوراً ، وبقيت السفارة الأمريكية فى موسكو بعد ذلك لعدة أشهر بدون سفير .

كانت دارا السفارتين الأمريكية والبريطانية فى موسكو على مقربة من الكرملين وتطلان على مبانيه فطلب إلى كل منهما أن تجد لها مكاناً آخر . وكانت السفارة الهندية تقع على الطريق الذى كان يسلكه ستالين فى ذهابه من موسكو إلى مقره الريفى وعودته منه فطلب إليها هى الأخرى أن تجد لها مكاناً آخر بعيداً عن الطريق ، وانتقلت السفارات الثلاث إلى أماكن أخـرى .

ستالين وكبار أعوانه :

فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٥٢ ، وهو العيد الخامس والثلاثين للثورة البلشفية رأس ستالين العرض العسكرى على غير عادته إذ كان يستعرض الجيش فى أول مايو من كل عام فقط لأنه كان يتشاءم من احتفالات ٧ نوفمبر

— كما تؤكد ذلك ابنته سفلتانا — لأن زوجته الثانية توفيت على أثر تلك الاحتفالات منذ عشرين عاماً ، وكان يقضى شهر نوفمبر من كل عام فى القوقاز ، ولكن المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعى السوفيتى استبقاه هذا العام فى موسكو . حضر ستالين العرض بسترته العسكرية لرتبته الجديدة « جنراليسمو » (Generalissimo) ، وهى الرتبة التى أنشأها لنفسه .

فى الاحتفال المذكور اختفى « اليكسى كوسيجين » ، وكان يحضره منذ سنة ١٩٤٦ عندما أصبح عضوا فى المكتب السياسى ثم أنزل إلى مرتبة العضو المناوب (المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى أصبح « بريزيديوم » presidium فى أكتوبر سنة ١٩٥٢ ثم عاد ليصبح عضو المكتب السياسى من جديد فى سنة ١٩٦٦) ، بلغ عدد أعضاء البريزيديوم ٢٥ عضوا بالإضافة إلى أحد عشر عضوا مناوباً .

كانت سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى محل اهتمام ستالين منذ ثلاثين عاماً ، فضم إليها فى أكتوبر سنة ١٩٥٢ عناصر جديدة اعتبرها عناصر قادرة ومخلصة له . كان هناك أحد تلك العناصر يشاهد لأول مرة (فى عرض ٧ نوفمبر) واقفاً فى صف الكبار على ضريح لينين فى آخر الصف من على اليسار ولم يكن قد أكمل بعد السادسة والأربعين من عمره وهو « ليونيد ايليتش بريجنيف » Leonid Ilytch Breznev (ولد فى ديسمبر سنة ١٩٠٦) ببلدة Kamenskoie على نهر الدنيبر — نهر أوكرانيا العظيم — والتى أصبحت بعد الثورة بلدة صناعية سميت من جديد باسم Dni eprodzeriinski تكريماً لاسم مؤسسى البوليس السرى الروسى الجديد الذى أقامه لينين بعد الثورة باسم « تشيكا » وتقع على بعد ١٥٠٠ كيلو مترا من ليننجراد .

برجنيف ابن عامل من عمال التعدين (نسب له شأنه منذ الثورة البلشفية بين الزعماء السوفييت) وهو يفخر بأن يديه فى شبابه كانت تعلوها الخشونة . اشتغل بريجنيف عاملا منذ أن كان يبلغ من العمر ستة عشر عاماً ثم التحق أولا بمدرسة زراعية ثم بمعهد تعدين وحصل منهما على لقب فنى

ومهندس . ترك بريجنيف بعد ذلك المزارع والمصانع وأصبح من رجال الحكم ، كان موظفاً فى الحزب ولما لم تمسه حركات التطهير سنة ١٩٣٧ بدأ فى الترقى بسرعة .

خلال سنوات الحرب العالمية الثانية تدرج بريجنيف فى الصفوف العسكرية بسهولة دون أن يترك وظيفته السياسية الأصلية فى الحزب وعهد إليه بالإدارة السياسية فى مواقع متعددة . فى مايو سنة ١٩٤٥ كان قد حصل على رتبة جنرال واشترك فى العرض العسكرى فى الميدان الأحمر وكان يغطى صدره بعدة نياشين .

منذ سنة ١٩٤٥ كان بريجنيف على صداقة قوية مع الأوساط العسكرية السوفيتية وانكب على الاهتمام بموضوعات التسليح .

عرف عن بريجنيف الحذر ، ويبدو على وجهه المكر والميل إلى التهكم والسخرية . تعلم بريجنيف فى اجتماعات اللجان التى لا تنتهى كيف يحافظ على هدوئه والظهور بمظهر الرزانة والحياد والعثور على صيغ القرارات التى ترضى الجميع . فى جلساته الخاصة يضحك ويبدو عطوفاً ، ولو أنه أمام الجماهير يبدو فى صورة الرجل الصارم ، ويعزى إلى حد كبير إلى نيكيتا خروشتشوف الفضل فى أن أصبح ليونيد إيليتشى بريجنيف — فى خريف سنة ١٩٥٢ — أحد رجال الاتحاد السوفيتى الأقوياء .

أصبح ليونيد بريجنيف عضوا مناوباً فى المكتب السياسى للحزب الذى أصبح « البريزيديوم » — كما سبق القول — فى أكتوبر سنة ١٩٥٢ ، كما كان عضوا بسكرتارية اللجنة المركزية المكونة من عشرة أعضاء (أول هؤلاء العشرة فى السكرتارية هو السكرتير العام جوزيف ستالين) . يمكن أن يقال إذن بأن بريجنيف كان على صلة بكل الموضوعات أى محور ارتكاز السلطة . لم يكن قد وصل بعد إلى مستوى مالينكوف أو خروشتشوف ، ولكنه كان على كل حال واحداً من الخمسة والعشرين الذين يقفون فى المناسبات الهامة على ضريح لينين ويطلون منه على ملايين البشر الذين يمرون من تحت أنظارهم .

جاء فى خطاب لبريجنيف فى المؤتمر التاسع عشر للحزب (أكتوبر سنة ١٩٥٢ (« أعظم رجال عصرنا ، المهندس العبقرى للشيوعية ، الرجل الذى لا حد لنشاطه الثورى ... الرئيس الحكيم الأستاذ ... رئيسنا جوزيف فيساريونوفيتش ستالين » .

قبل أن ينقل بريجنيف إلى موسكو فى سنة ١٩٥٢ كان قد عين فى سنة ١٩٥٠ فى وظيفة سكرتير أول الحزب الشيوعى فى « مولدافى » (بيسارابيا سابقاً) ، وعرف خلال السنتين اللتين أمضاهما هناك بأنه محب للحياة ، وأنه ليس عقائدياً متزمتاً مثل زميله « ميكائيل أندريفتش سوسلوف » عضو السكرتارية ، كما أنه ليس سهلا ولا متحررا ، ولكنه يعرف كيف يكون متفاهما من وقف لآخر ، وقيل بأن حركات التطهير فى « مولدافى » خلال السنتين اللتين كان بريجنيف سكرتيراً أول للحزب فيها لم تكن بالشدة التى كانت عليها فى أكثر جمهوريات الاتحاد السوفيتى الأخرى .

ستالين بين كبار أعوانه :

لم يكن من عادة ستالين أن يزور المصانع أو أن يقف بين العمال فى المصانع أو أن يزور الفلاحين فى مزارعهم الجماعية كما أنه لم يذهب إلى الجبهة خلال سنوات الحرب للتفتيش على الجنود أو لأى سبب من الأسباب وذلك لكى يكون فى ابتعاده عن أفراد الشعب الروسى بكافة طبقاته تأليها لشخصه ولذاته فى نفوسهم . كان يظهر أمام الجماهير مرتين أو ثلاث مرات كل سنة واقفاً على منصة عالية بعيدة عن صفوف الجماهير ، وفى بعض الأحيان تصعد طفلة إلى المنصة حيث يقف لكى يقبلها أمام تلك الجماهير . لا شك أن هذه الطريقة فى عدم الظهور كثيراً أمام جماهير الشعب تغذى أسطورة عبادة الذات وترفعه إلى مرتبة الآلهة .

فى المرات النادرة التى كان ستالين يريد فيها أن يتحدث إلى أحد كان سكرتيره الخاص يتصل بالشخص المطلوب ويطلب إليه أن يدير قرص تليفونه على رقم معين يعطى له ، وعندما يدير الشخص هذا الرقم يرد ستالين عليه . بعد انتهاء المكالمة يعدل الرقم الذى أعطى لهذا الشخص .

فى الحفلات الكبرى العامة كان ستالين يقف وعلى يمينه الماريشالات وأمراء البحر لابسى السترات العسكرية الموشحة بالنجوم والنقوش المذهبة ، وأكبرهم نفوذاً هو « بولجانين » ، الماريشال السياسى ، إذ أن الجيش يأتمر بأمر الحزب . على يسار ستالين كان يقف كبار المسئولين المدنيين وهؤلاء ينقسمون إلى فئتين ، تتميز كل فئة بالملابس التى ترتديها ، فئة لا تزال ترتدى الجاكته الواسعة والبنطلون (ملابس العمال خارج المصانع) مع الكاسكيت نصف العسكرية منذ سنوات الحرب الأهلية بعد استيلاء البلشفيك على الحكم ، ومن هؤلاء الرفيق « سوسلوف » والرفيق « مالينكوف » والفئة الثانية التى ترتدى ملابس البرجوازيين بالكرافتة والبرنيطة الرخوة مثل « الكسيس كوسيجين » . أما نيكيتا خروشتشوف فكان أكثرهم تحرراً فكان يلبس الكرافته ويترك رأسه عارياً طوال أشهر الصيف .

لكى تصل الشخصية السوفيتية فى سنة ١٩٥٢ إلى المرتبة الأولى يجب أن يبدأ المقال الذى يطبع عنها فى دائرة المعارف السوفيتية الكبرى بوصفه « رفيق سلاح مقرب من جوزيف فيساريو نوفيتشى ستالين » ، ولا مانع من أن يضاف إلى هذا الوصف فى بعض الأحيان « تلميذ أمين للينين » على أن يكون هذا الوصف الأخير قاصراً على الذين عرفوا لينين فى حياته .

والذين يرتدون البرنيطة الرخوة يطلق عليهم سوراتنيكى (Soratniki) وأهمهم جميعاً هو « مولوتوف » ، المخلص بين المخلصين ، اسمه بالكامل Viatcheslav Mikhailovitch Molotov ، ولكن اسمه الحقيقى هو (سيريابين) Seriabine ، وهو من عائلة برجوازية بسيطة فى شمال روسيا .

فى النزاع الذى قسم الحزب ، كان مولوتوف من مؤيدى ستالين بدون أى تحفظ ، ساعد ستالين ضد أعدائه وحارب أتباع تروتسكى ثم أتباع زينوفييف ثم أتباع بوخارين بكل قواه . ظل مولوتوف من المتعصبين لستالين فى حياة ستالين وبعد مماته . كافأه ستالين فى سنة ١٩٣٠ بأن عينه رئيساً لمجلس الوزراء (كان يسمى حينئذ مجلس قوميسيرى الشعب) . عادت تسمية المجلس بمجلس الوزراء بعد الحرب العالمية الثانية .

فى سنة ١٩٣٩ كان مولوتوف وزيراً للخارجية ، وهو الذى استقبل الهر فون ريبنتروب وزير خارجية هتلر لإمضاء المعاهدة الألمانية السوفيتية . وعندما هاجمت قوات البانسر الهتلرية روسيا فجر يوم ٢٢ يونيه سنة ٩٤١ كان مولوتوف هو الذى أعلن النبأ على الشعب السوفيتى فى الراديو وقيل بأن المفاجأة المرة قد هزت ستالين وأسكتته . كان مولوتوف الذراع الأيمن فى لجنة الدفاع وكان يطلق عليه رجل الثقة فى الملمات ، عرفه الزعماء الغربيون فى اجتماعات طهران ويالتا وبوتسدام بجانب ستالين ، وفى دوائر الأمم المتحدة أطلقوا عليه « مسيو نييت » لكثرة ما كان يرفض ويبدى من اعتراضات . كان زملاؤه الغربيون فى دوائر الأمم المتحدة يقيمون له حساباً بسبب لهجته القاسية وبسبب ما كان يتفوق به عليهم من الصبر والعناد ، وصفه تشرشل بأنه المثل الكامل للإنسان الآلى ، وأطلق عليه المارشال فوروشيلوف « قطعة الحجر » .

ترك مولوتوف وزارة الخارجية فى سنة ١٩٤٩ ولكنه بقى الشخصية رقم ٢ فى الاتحاد السوفيتى فى حياة ستالين . سميت مدينة (برم) باسم مولوتوف تكريماً له كما أعطى اسمه لأحد عشر بلداً وقرية أخرى مثل مولوتوفسك ، ومولوتوفو ، ومولوتوفآباد وهكذا ، كما أطلق اسمه على أحد أحياء موسكو وعلى أحد القمم العالية فى جبل (بامير) وعلى رأس أرض فى المحيط الجليدى القطبى وعلى عشرات المؤسسات والكولكوز والسوفكوز وبيوت كثيرة للشباب ومراكز ثقافية وعلى سفن حربية وتجارية كما أطلق اسمه على أكبر مصنع للسيارات فى الاتحاد السوفيتى ، ويقال بأن نصف سيارات اللورى التى تجرى فى الوقت الحاضر على طرق الاتحاد السوفيتى تحمل اسم مولوتوف الذى وضع فى مكان ظاهر فى مقدمتها على غطاء الموتور .

كانت زوجة مولوتوف السيدة الأولى فى مجتمع موسكو واسمها Pauline Jemtehoujina Molotov ، كانت فى الأصل عاملة بأحد المصانع وحصلت على كل ما يمكن أن تحصل عليه سيدة فى المجتمع الشيوعى من القاب وامتيازات ، كانت عضوا فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى

ووزيرة لمصايد الأسماك ، وعضو مجلس التحكيم للموديلات الخاصة للسيدات ، وكانت المسئولة الأولى عن العطور الروسية ، ويرجع إليها الفضل فى السماح للسيدات السوفيت الرشيقات بأن يتزين وأن يتعطرن بالعطور الروسية الثمينة التى أطلق عليها اسم « موسكو روج » و « دام دى بيك »

فى سنة ١٩٤٨ قبض على السيدة بولين مولوتوف ، زوجة الرفيق مولوتوف ، ووجهت إليها عدة اتهامات عن اشتراكها فى عدة مؤامرات صهيونية وأنها من أصل يهودى ، اجتمعت اللجنة المركزية لتجريدها من كل مناصبها فى الحزب ، ولما كان زوجها عضوا فى اللجنة المركزية فقد امتنع عن التصويت فى نوبة شجاعة استولت عليه ، وبعد قرار اللجنة المركزية سلمت مقبوضاً عليها إلى النيابة للتحقيق معها ثم اختفت عن الأنظار دون أن يلاحظ ذلك أحد من أعضاء السلك الدبلوماسى الأجنبى فى موسكو .

كان اختفاء الأشخاص خلال الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية من الأمور التى تحدث فى سرية وتستر تام ، لم تكن هناك محاكمات كبرى كما حدث فى سنة ١٩٣٧ ولم تكن هناك مقالات بالصحف والغى كذلك الإعلان الذى كان ينشر باسم من تقرر أن يحل محل الشخص الذى تقرر إبعاده أو تصفيته ، لم يكن يجوز للذين يعرفون أن يتكلموا ، وكان على الذين يعلمون أن يلتزموا الصمت التام .

اعتقلت باولين مولوتوف فى معسكر اعتقال فى كازاكستان الشمالية ولم يكن زوجها الرفيق مولوتوف يعلم بمكان اعتقالها أو حتى إن كانت لا تزال على قيد الحياة واستمر فى الظهور فى الاحتفالات العامة بجوار ستالين ووجهه كما كان دائماً وكأنه قد قد من صوان .

كان مولوتوف يعلم بأن أحد أساليب ستالين أن يأمر بالقبض على زوجات أقرب معاونيه ، فقد سبق له أن أمر بالقبض على زوجة (كالينين) رئيس الدولة ، وعذبت والقى بها فى السجن لمدة ست سنوات ، واستمر كالينين فى تسلم أوراق اعتماد السفراء والتحلى بالنياشين والأوسمة على صدره ،

وتوفى فى سنة ١٩٤٦ وشيع بكل مظاهر التكريم وسمح لزوجته بأن تعوده قبل وفاته ببضعة أشهر .

القى القبض أيضاً على زوجة « بوسكريبيشيف » Poskrebychev الذى كان رئيساً للسكرتارية الخاصة لستالين لمدة عشرين عاماً ، كان رجل الأسرار ، كان الرجل الذى كان بإمكانه أن يتحدث بلطف أو برذالة إلى أى كبير سوفيتى . لم يحتج بوسكريبيشيف على اعتقال زوجته التى كانت أخت زوجة ابن تروتسكى . قيل بأن ستالين كان يحب هذه النقط السوداء فى تاريخ حياة معاونيه .

بعد القبض على زوجة مولوتوف فتر حماس ستالين بالنسبة لمولوتوف فقد امتنع عن استشارته وعن دعوته إلى مسكنه الريفى الخاص ، كما أفصح لأعوانه عن شكوكه فى أن يكون مولوتوف جاسوساً بريطانيا وانتظر مولوتوف أن يصيبه أسوأ ما ينتظر ... بعد أسبوع ... بعد شهر ... بعد سنة ... لا أحد يعلم ، ولكنه توقع الكارثة التى ستحل به عندما القى القبض على كافة معاونيه فى وزارة الخارجية فأصبح مولوتوف بعد ذلك تحت تهديد الإعدام . فى سنة ١٩٦٨ ، بعد ستة عشر عاماً من تلك الأحداث ، كان مولوتوف يجلس للقراءة فى مكتبة لينين بموسكو ، وكانت تجلس قريباً منه فتاة فرنسية ، لاحظ مولوتوف بأن الفتاة تتمعن فى وجهه وكأنها تحاول أن تتذكر من هو ، ما كان من مولوتوف إلا أن كتب على قطعة ورق ... « مولوتوف ، الذراع الأيمن السابق لستالين ... » وأعطاها الورقة . لم يكفر مولوتوف بمن أراد له الموت .

مولوتوف بلشفيكى من سن السادسة عشرة ، لم يعش إلا للحزب ، والحزب بالنسبة إليه هو ستالين . بوصفه رئيساً لمجلس الوزراء فى الثلاثينيات كان مولوتوف هو الذى أمضى كل أوامر وتعليمات الإرهاب التى تمت خلال تلك الفترة من حكم ستالين ، وبوصفه عضوا فى المكتب السياسى اشترك فى إمضاء القوائم الطويلة بأسماء من تقرر إعدامهم من الشيوعيين المناهضين .

كان ستالين يقول بأن « التواضع هو زينة البلشفيك » ، ولكن كان أعضاء الحزب — فى واقع الأمر — يظهرون تواضعهم أمام ستالين لأنه هو الذى منحهم السلطات والامتيازات ، وهو الذى رفعهم فوق مستوى الشعب ولكنه مع ذلك لم يعطهم الأمان ، فقد كانت ترتعد فرائصهم كل يوم خوفاً على حياتهم وهم جلوس على كراسيهم .

كان ستالين يفصل — من بين حين وآخر — بعض كبار المسئولين وخاصة من بين رجال البوليس ويعين بدلا منهم جيلا جديداً من صغار السن وكان ينتظر منهم بعد ذلك أن يتفانوا فى الإخلاص له وأن يشعروا بأنهم مدينون له بوظائفهم وامتياوتهم .

والهدف من تجديد رجال الثقة هو لعبة من ألاعيب السلطان القديمة ، وهى أن المسئولين المفصولين المبعدين يحملون معهم — أمام الشعب — أخطاء نظام الحكم وأوزاره ، فضلا عما كان يلصقه ستالين بأعوانه من خطايا وأوزار عندما يقرر فصلهم وإبعادهم ويتركهم فريسة للشعب فيسعد بذلك الشعب ويطمئن إلى أن الرئيس الأعلى ساهر على تحقيق مطالبه وأنه قد أبعدهم لأنهم لا يعملون لمصلحة الشعب .

الماريشال « فوروشيلوف » (Kliment Efremovitch Vorochilov) صديق قديم لستالين وهو ضابط شجاع تعلق بستالين منذ الحرب الأهلية وعاونه فى تطهير الجيش الأحمر من كافة الضباط الغير موالين له وشارك ستالين فى إعدام الكثيرين واعتقال الألوف من الضباط والجنود بتهمة عدم الولاء ، عينه ستالين قوميسيرا للشئون العسكرية والبحرية ولكن ستالين قال له مرة علناً « إنك غبى ولكنك صديق قديم لى ، إننى أحبك وأحترمك » .

فى سنة ١٩٤١ كان الماريشال فوروشيلوف فى شبه إحالة إلى المعاش ولكنه كان مغموراً بكل مظاهر التكريم والامتيازات وفجأة اكتشف ستالين بأنه ربما كان هو الآخر جاسوساً انجليزياً فأمر بأن يوضع له فى مسكنه الخاص جهاز سرى للتصنت على أحاديثه .

أثيرت الشكوك حول «آنستاس ميكويا ن Anastase Ivanovitch Mikoyan لا على أنه جاسوس انجليزى هذه المرة بل جاسوس تركى بسبب أصله الأرمنى ، وهو الذى تمكن من البقاء فى مناصبه بسبب كياسته الأسطورية ، وكان يتبوأ مركزاً عالياً جداً بين فريق « السوراتنيكى » .

فى شهر يوليه سنة ١٩٥٢ وفى مناسبة الاحتفال بعيد الطيران ، كان يجلس على المنصة وعلى يسار ستالين مباشرة الرفيق « بريا » (لافرنتى بافلوفتش بريا Lavrenti Pavlovitch Beria) الذى أسندت إليه قوميسيرية الشئون الداخلية N.K.V.D فى سنة ١٩٣٨ . كان اثنان ممن سبقوه وتوليا تلك القوميسارية قد انتهيا نهاية حزينة هما « ياجودا » Iagoda وايبجوف Iejov ، لاسيما الثانى الذى لم يعرف مصيره وكيف انتهى .

تقرب « بريا » من ستالين بإظهار حماسه البالغ فى ابتداع وسائل المحافظة على أمن ستالين وسلامته وبذلك تمكن من البقاء فى منصبه والوصول إلى عضوية المكتب السياسى ، كان يحمل رتبة ماريشال البوليس وتولى الإشراف بعد ذلك على وزارة أمن الدولة M.G.B ، وهى الوزارة التى أنشئت بعد الحرب وبعد تقسيم قوميسيرية الشئون الداخلية .

كانت الأبحاث الذرية من اختصاص الرفيق « بريا » وقد وجه ستالين إليه لوماً بسبب تأخر تركيب القنبلة الهيدروجينية .

فى مناسبة الاحتفال المذكور كان يقف على المنصة التاسع على يسار ستالين « الكسيس كوسيجين » ، كان يبلغ من العمر وقتئذ ٤٨ عاماً ، وكان قد انقذ من حركة التطهير التى تمت فى لينينجراد ، مسقط رأسه ، بعد الحرب . فى سنة ١٩٤٠ كان قد عينه ستالين نائباً لرئيس مجلس الوزراء وظل يحمل هذا اللقب لمدة اثنى عشر عاماً متصلة ، هو وميكويان وبريا وفوروشيلوف وآخرين ، وعرف عن كوسيجين إخلاصه فى عمله وإيجاد الحلول العملية الدقيقة للمشاكل . عهد إليه ستالين بمسئوليات هامة محددة بالإضافة إلى اللقب الذى كان يحمله ، نائب رئيس الوزراء ، وهو فى الواقع لقب شرفى ، وعينه وزيراً لصناعة النسيج ثم وزيراً للصناعات الخفيفة ، وهو حاصل على دبلوم مهندس نسيج .

ضم الكسيس كوسيجين إلى اللجنة المركزية فى سنة ١٩٣٩ وانتخب عضوا مناوباً بالمكتب السياسى سنة ١٩٤٦ ثم أصبح عضوا أصلياً فى سنة ١٩٤٨ وبقى على الدوام رجل إنتاج لا رجل عقيدة ، والماركسية هى عدته .

حياة ستالين اليومية :

كان ستالين يقيم فى الكرملين عندما يكون فى موسكو ، والكرملين ليس قصراً ولكنه مجموعة من المبانى التى تكون قلعة محصنة تشتمل على أربعين أو خمسين مبنى وكنائس وثكنات وحدائق . خصص ستالين لنفسه ثلاث حجرات فى أحد تلك المبانى وكان من عادته أن لا يجعل الكرملين مقر عمله الأساسى ، بل كان يعمل يومياً لفترات طويلة خارج الكرملين فى مبنى اللجنة المركزية للحزب فى أحد أحياء موسكو الرئيسية المزدحمة ولكنه كان يقضى أكثر وقته فى المنزل الريفى الخاص به فى (كونتسيفو) بالقرب من نهر « موسكوفا » على مسافة ساعة بالسيارة من موسكو . ومنزل ستالين الريفى هذا أى الـ (داتشا) كان فى الماضى فيلا يمتلكها أحد المليونيرات المصابين بعقدة الاضطهاد فأقام أسواراً عالية حول الفيلا ولما استولت عليها الحكومة السوفييتية لم تهدم الأسوار . كان من عادة ستالين أن يتنقل بين تلك الفيلا وموسكو فى موكب مكون من ثلاث سيارات أو خمسة (ماركة باكار) تسير بسرعة كبيرة على طريق فرضت عليه حراسة قوية بطبيعة الحال ، وكان من عادة ستالين أن يجلس بجوار سائق إحدى تلك السيارات فى الموكب ويتغير موضع السيارة التى يركبها من الموكب بصفة مستمرة .

كانت « كونتسيفو » — حيث يوجد المنزل الريفى لستالين — قلعة له وسجنه الذى اختاره لنفسه ليقرر الحياة والموت لملايين الروس ، كان يستولى عليه الشك فى كل ما هو حوله ، الزوار المدعوون لمقابلته يفتشون ، والخلصاء المقربون عليهم أن يتركوا محفظة أوراقهم عند ضابط الأمن قبل أن يدخلوا إلى مكتبه . على مقربة من المنزل الريفى (الداتشا) أقيم بناء لسكنى أكثر من مائة جندى حراسة ، وهذا البناء مسدس الأضلاع

له نوافذ من كل ضلع بمستوى الأرض حتى يتسنى لجميع الجنود الخروج فورا مرة واحدة مع أول إشارة وهم مسلحون تسليحاً ضخماً وتحت تصرفهم كافة الإمكانيات . بالمكان كشافات لإنارة كل ركن من أركان الحديقة التى نصبت فيها الشراك والألغام . على مقربة من حديقة الـ (داتشا) نفسها تقوم بالحراسة المستديمة فصائل أخرى من الجنود المسلحين ومعهم كلاب الحـــراسة .

يتحدثون بعد وفاة ستالين عن وسائل الأمن التى أقيمت حول هذا المنزل الريفى ، يتحدثون عن أبواب مصفحة تغلق من الداخل ، وعن غرف بدون نوافذ ، أو عن نوافذ تغلق بالواح سميكة من الأسمنت . يتحدثون عن شبكة أجراس وأزرار لطلب المساعدة فى كل لحظة ومن أى مكان فى المنزل . يقولون بأنه كان بالمنزل أربع غرف نوم بشكل واحد تماماً ، وكان ستالين يختار الغرفة التى سينام فيها فى آخر لحظة . بالاختصار قد أعد كل ما يمكن أن يخطر على تصور بشر لتفادى أية محاولة للاعتداء ، تلك المحاولة التى لم يجرأ عليها أحد أو طرأت على ذهن أحد أن بإمكانه أن يقوم بها . كان ستالين يشرف بنفسه على الإجراءات التى تتخذ بشأن أمنه فى أدق تفصيلاتها ويضيف عليها ما يتراءى له .

ومع ذلك فلم يكن ستالين يحيط نفسه أمام الجماهير بحراسة ضخمة كما كان يفعل موسولينى أو هتلر ، بل كان فى بعض الأحيان يعود من الأوبرا إلى الكرملين سائرا على قدميه مع بعض خلصائه إذ كان يهوى سماع الأوبرا ومشاهدة الباليه وكان كثيراً ما يقضى سهرته فى مسرح البولشوى كما كان يميل إلى رؤية أفلام السينما عن الحروب والثورات . كان يقرأ كثيراً ويميل إلى لعب الشطرنج ، كان يدخن البايب بصفة مستمرة كما كان مغرماً بأنواع المشروبات الكحولية وخاصة الكونياك ، ولم تكن تلك المشروبات تؤثر عليه كثيراً ، وكان من عادته أن ينكب على العمل أسبوعاً أو أكثر ثم يتوجه إلى منزله الريفى ليستريح يومين أو أكثر .

كان أصدقاء ستالين المقربون هما « فوروشيلوف » و « كاجانوفيتش »

وكانا يناديانه بـ (يوسيف) ، أما باقى زملائه فكانوا ينادونه بـ (توفاريش ستالين) أى الرفيق ستالين ، ولم يكن يحمل أى لقب غير هذا .

قال المؤرخون بأن ستالين قد أتلف كل مستند لعائلته وقضى على كل من يعرفه فى صغره ، وكان يحب أن يظهر بأنه يعيش وحيداً ، كان يتنقل وحيداً ويستقبل — عندما يستقبل — وحيداً .

تزوج ستالين مرتين ، ثم قيل بأنه تزوج بعد ذلك من أخت زميله « كاجا نوفتش » ، ولم يعرف عنه بأنه كان شاذا فى علاقاته الجنسية بل طبيعياً . توفيت زوجته الأولى « كاترين » بعد ثلاث سنوات من زواجه منها بمرض السل سنة ١٩١٧ ورزق منها بولد أسمه « جاكوب » لم يكن موفقاً فى حياته فأرسله ستالين ليشتغل فى مصنع فى تفليس .

زوجته الثانية (نادجا أو ناديا) كانت أبنه صديق له أسمه « سرجى الليلوبيف » كان يعمل حداد أقفال ورزق منها بولد اسمه « فاسيلى » وبنت أسمها « سفتلانا » ، وكانت زوجته هذه تدرس صناعة الحرير الصناعى وتعمل كغيرها من السيدات المتزوجات ، وقد توفيت فجأة فى ٨ نوفمبر سنة ١٩٣٢ بعد خمس عشرة سنة من زواجها فى ظروف غامضة بعد عملية جراحية قيل بأنها لم تنجح ، كما قيل بأنها أنتحرت ، ويعتقد بعض الروس بأن ستالين هو الذى قتلها ، وقيل أيضاً بأنها قد تذوقت طعاماً كان أعد لستالين وكان طعاماً مسموماً ، على كل حال فقد أحرقت جثتها ودفنت فى فناء كنسية أحد الأديرة .

ستالين فى حياته العائلية :

كانت صحف أوربا الغربية قد نشرت بأن ستالين تزوج بعد ذلك من الطبيبة « روزا كاجا نوفيتش » ، وهى من أصل يهودى وأخت (أو بنت أخت) « لازار كاجانوفيتش » أحد أعضاء المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى ، ونشرت الصحف صورة فوتوغرافية لها . مع ذلك فقد أكدت « سفتلانا » ابنة ستالين على العالم بعد نشر هذا النبأ ببضع سنوات

بأن روزا كاجانوفتش ليس لها وجود أساساً . لم يكن مراسلو الصحف الغربية هم الذين أخترعوا تلك الشخصية ولكن الروس فى كافة أنحاء الاتحاد السوفيتى كانوا يتحدثون عنها منذ سنة ١٩٥٢ .

جاكوب ، أبنه من الزواج الأول ، مات فى الأسر فى ألمانيا ولم يحاول ستالين أنقاذه لأنه كان يكره أسرى الحرب ويعتبرهم خونة هاربين من الجندية . حاكم ستالين أسرى الحرب بعد أن أنتصر على ألمانيا وزج بالكثيرين منهم فى المعتقلات الروسية بعد أن كانوا فى المعتقلات الألمانية .

الابن الثانى « فاسيلى » Vassili كان جنرالا فى سلاح الطيران عندما بلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاما . لما علم ستالين بأنه غير ناجح فى عمله وأنه مدمن على الشراب لم يقبل رؤيته بعد ذلك .

لم يكن يسمح لأبنته « سفتلانا » بالحضور إليه إلا من بين حين وآخر وعلى صورة مقابلة رسمية لا زيارة عائلية . كان ستالين يحبها عندما كانت تبلغ من العمر عشر سنوات ولكنها عندما كبرت وأحبت مصوراً سينمائيا يهوديا « اليكس كابلر Alexis Kapler وتناقل الناس قصص غرامياتها وزواجها بعد ذلك من يهودى آخر (Grigori Morosov) وطلاقها مرتين أبعدها عن قلبه ، ورفض ان يقابل زوجها .

كان لستالين ثمانية أحفاد لم يبد رغبة فى رؤية إلا ثلاثة منهم ومجتمعين ولم يبد أية رغبة فى رؤية الآخرين ، ولكنه فى أحتفالات الدولة وفى الصور الفوتوغرافية المخصصة للنشر فى الصحف وفى سجلات التاريخ هو الأب والجد الذى يحنو على الأطفال ويقبلهم ويتقبل الزهور من أيديهم بابتسامة عريضة على وجهه .

أمر ستالين باعدام أثنين من أخوات زوجتيه رميا بالرصاص وأمر بإيداع أربعة من أخواتهما فى السجن ، توفى أثنتان منهن ، وتوفى أخ ثالث لزوجته وكان جنرالا على أثر نوبة قلبية بعد أن حضر إلى مكتبه يوماً فوجد بأن جميع معاونيه قد ألقى القبض عليهم ؟

كان « فاسيلى » ، ابن ستالين ، ، جنرالا فى الطيران عندما بلغ الثالثة والعشرين من عمره ، كما سبق القول ، وكان يعيش فى فيلا ريفية (داتشا) فاخرة ، كان يمتلك الخيل والكلاب ويهوى معيشة البذخ يحوطه أبناء كبار المسئولين ومصورو السينما والمخرجون والرياضيون المشهورون وممثلات السينما ، عرف بخشونة الطباع فهو يعتدى بالضرب على السيدات وأحيانا على رجال الأمن وكثيراً ما يوجد ثملا . أشيع بأنه قتل مرة زوج أحدى صديقاته .

عندما وصل « فاسيلى » إلى سن الحادية والثلاثين كان بسبب أفراطه فى الشراب لا يتمكن من السيطرة على قيادة طائرة .

فى حفل عيد الطيران سنة ١٩٥٢ يوم ٢٧ يوليه كان ستالين قد سئم من حماقات ابنه فعزله بعد هذا اليوم من المنصب الذى كان يتولاه وهو قائد قاعدة طيران موسكو .

أما ستالين نفسه فقد كان يتقاضى مرتباً شهرياً قدره الف روبل قديم (تعادل ٢٠٠ دولار) ولم يعرف عنه تعلقا بجمع المال أو القيام بأى تصرف مالى مشبوه ، وهو كغيره من كبار الشيوعيين ، وكما كانت القاعدة العامة ، أن لا يحصل أحد منهم على أى ربح مادى من أصدار الكتب والمؤلالفات . كان بمقدور ستالين — بطبيعة الحال — أن يعيش كما عاش قياصرة روسيا وأن يحصل على ما يريد من مال وأن يأكل فى صحاف من الذهب ولكنه لم يفعل بل عاش متواضعاً . كان تحت تصرفه سيارات وكتب وخدم وكل ما أراد أن يحصل عليه .

كان ستالين يحب الوحدة ويفضل العزلة ولم تكن تلك الوحدة بدون تنقلات فقد كانت تحت تصرفه فيلات فى عدة أماكن . كان محل إقامته الدائم فى كونتسيفو (منزله الريفى) ، وكان يفضل قضاء فترة راحته فى القوقاز حيث بنيت له فيلات على البحر وفوق الجبال وقريباً من « سوخومى » على بحرية (ريتسا) فى منطقة (كوتائيس) فى أعلى الجبال .

أشار عليه الأطباء بالانتقال إلى القوقاز من بين حين وآخر من أجل صحته ،

ولذلك كان ينتقل إلى محطة المياه المعدنية فى (تسخالطوبو) ، حيث بنيت له فيها كابينة للاستحمام بمياهها المعدنية بارتفاع منزل بدورين ، كان يجلس بداخلها على مقعد عال من المرمر أقيم فى نهاية بانيو ضخم من المرمر وتطلق المياه المعدنية شيئاً فشيئاً إلى أن تغطى جسمه حتى الكتفين . كان ينتقل إلى تلك المحطة كل عام إلى أن بدأ يتعب من السفر عندما تقدمت به السنون وفضل أن يبقى فى « كونتسيفو » التى يرى فيها متعتيه ، العزلة والطبيعة .

كان ستالين معتاداً أن يبدأ يومه عند الظهر أو ما بعد الظهر ويقضى أكثر ساعات الليل متيقظاً ، كان يستقبل أعوانه تحت تعريشة بحديقة منزله الريفى ويبت فى شئون الامبراطورية السوفيتية وهو جالس بمكانه . كان يقرر فجأة الانتقال إلى الكرملين فى موسكو فيستقل سيارة فى موكب مكون من ثلاثة أو خمس سيارات متشابهة تماماً ويجلس فى واحدة منها بجوار السائق ، قد تكون السيارة الأولى أو الثانية أو الثالثة أو الرابعة أو الخامسة ، وتتبدل السيارة التى يستقلها فى ترتيب الموكب فى كل مرة .

كان ستالين يريد أن يعيش طويلا ، فبلاد القوقاز — مسقط رأسه — هى بلاد المعمرين حتى المائة ولكن جسده كان لا يتحمله ، كان فى أواخر سنواته يتحدث ببساطة عن موته أمام أعوانه ولكنهم كانوا يقولون بأنه يتحدث إليهم عن موته حتى يستشف صدى كلامه فى نفوسهم ولكى يبدون أنزعاجهم ويطمأنونه كان يقرأ كثيراً ولكنه لم يكن يصبر كثيراً على قراءة الملفات الضخمة أو يجلس طويلا إلى مكتب ، كان يفضل تصفح الكتاب أو المجلة وهو مستلقيا على كنبه ، وفى بعض الأحيان كان يهوى لعب الشطرنج .

لم يتبق لستالين فى حياته سوى علاقات سياسية ، علاقة السيد بأتباعه وكانت هذه العلاقات هى التى تهمه ، ومن طباعه مع معاونيه ، أنه كان قاسى اللفظ متهكماً ، وفى بعض الاحيان معنفاً بألفاظ غاية فى العنف ، لفظاً ومعنى وصفة .

مؤامرة أصحاب المعاطف البيضاء :

فى ١٣ يناير سنة ١٩٥٣ نشرت صحيفة البرافدا بياناً لوكالة أنباء تاس جاء فيه « أكتشفت أجهزة أمن الدولة منذ بعض الوقت أن هناك جماعة من الأطباء الأرهابيين هدفها القضاء على حياة الشخصيات القيادية الحاكمة فى الاتحاد السوفيتى عن طريق العلاج المميت » وأضافت أنه من بين الضحايا « أندريه جدانوف » و « الكسندر شتشرباكوف » عضوى المكتب السياسى اللذين توفيا نتيجة علاج مميت وكانا مريضين بالقلب . أضاف البيان بأن هدف تلك الجماعة أيضاً كان القضاء على بعض المارشالات والجنرالات ولكنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى هذا الهدف » . ثم عددت الصحيفة أسماء تسعة من هؤلاء الأطباء قالت بأنهم يكونون تلك الجماعة الإرهابية ، وأتهمتهم بأنهم على علاقة تآمر مع منظمة يهودية دولية أنشئت بواسطة جهاز المخابرات الأمريكية كما أن ثلاثة من الأطباء المتهمين فى خدمة المخابرات البريطانية ، وأن ستة من التسعة أطباء يهود .

كان من بين هؤلاء الأطباء التسعة من هو عضو بالأكاديمية الطبية السوفيتية ومنهم من كان معترفا به كطبيب للكرملين .

علقت صحيفة البرافدا على بيان وكالة تاس بقولها « أن المسئولين فى وزارة الصحة لم يكونوا على مستوى الموقف فلم يتمكنوا من أكتشاف النشاط الارهابى ولا الاعمال التخريبية لهؤلاء التعساء الممقوتين » ، وأضافت « أن بعض أجهزتنا السوفيتية (والأجهزة هنا معناها البوليس السرى السياسى) قد فقدت قدرتها على اليقظة والانتباه فلم تتمكن من أكتشاف المؤامرة فى الوقت المناسب وكان لزاماً عليها أن تكون أكثر حذرا » .

تبع إصدار هذا البيان أن فصل وزير الصحة « سميرنوف » وأبعد « آباكوموف » وزير أمن الدولة ، وكان رجل « بريا » بذلك أصبح « بريا » فى الصف الأول لتلقى الاتهامات ، وعين « إجناتييف » وزيراً لأمن الدولة ، وعرف عنه بأنه رجل نيكيتا خروشتشيف فبادر بمطاردة رجال « بريا » من جهاز أمن الدولة .

كان ستالين متعجلا للوقوف على نتيجة التحقيق مع الأطباء المتهمين . كان أحد الاساتذة الأطباء وهو البروفسور « فاسيلنكو » (لم يكن أسمه من بين التسعة الذين نشرت أسماؤهم) فى مهمة رسمية من الحكومة السوفيتية إلى الصين لعلاج شخصية كبيرة جدا — ربما ماوتسى تونج نفسه — فما أن أنهى مهمته وعاد إلى الاتحاد السوفيتى حتى قبض عليه عند الحدود ونقل مخفوراً على جناح السرعة إلى موسكو حيث أودع سجن « ليفور توفو » وهو أحد سجون القياصرة القديمة الذى حول إلى سجن رهيب فى عهد ستالين — قيل بأن هذا البروفسور قد فقد جميع أسنانه بعد بضعة أسابيع نتيجة لما أصابه من أهوال . أما البروفسور الطبيب « فينو جرادوف » ، الذى كان يبلغ من العمر سبعين عاما والحاصل على جائزة ستالين فى الطب فقد قيد فى السجن بالسلاسل ، وهنا دار الزمن دورته وجاء دور البروفسور فينوجرادوف الذى كان قد أنتدب فى سنة ١٩٣٨ خبيراً أثناء محاكمة أثنين من زملائه الأطباء بتسميم شخصيات سوفيتية كبيرة (ماكسيم جوركى — كويبيشيف — منجنسكى) وشهد ضدهما وأغرقهما بالاتهامات دون شفقة أو رحمة .

أما نتيجة التحقيق مع الأطباء المتهمين (وكان عددهم قد أرتفع إلى خمسة عشر طبيباً) فكانت إعدامهم وتنفيذ الحكم فى أكثرهم شنقا لا رميا بالرصاص — ومن بينهم طبيبه .

كانت محاكمة هؤلاء الأطباء ذات أثر بعيد المدى داخل الاتحاد السوفيتى وخارجه وأثار عداوة الشعب السوفيتى لليهود كما أثار شكوكه نحو الأطباء كافة لفترة طويلة من الزمن .

بعد موضوع هؤلاء الأطباء أخذ موضوع اليهود داخل الاتحاد السوفيتى يأخذ صورة أكثر وضوحاً ، ولما كان الاتحاد السوفيتى دولة متعددة القوميات فقد حدد وضع اليهود بأنهم « أحدى قوميات الاتحاد السوفيتى » . يقال مثلا بأن « بريا » سوفيتى وقوميته جورجيانى ، ميكويان سوفيتى وقوميته أرمنى ، كوسيجين سوفيتى وقوميته روسى ، كاجانوفيتش سوفيتى وقوميته يهودية ، وهكذا .

فى ٤ أبريل — بعد أن توفى ستالين بشهر واحد — نشرت صحيفة برافدا بياناً رسميا صادراً عن وزارة أمن الدولة جاء فيه بأنه قد تبين بأن مؤامرة أصحاب المعاطف البيضاء كانت مؤامرة مختلقة ومزعومة ولم يكن لها أساس على الأطلاق وأن كافة الأطباء الذين أتهموا بالقتل كانوا أبرياء وقد أعيد إليهم أعتبارهم جميعاً وأن الطبيبة التى أبلغت عن المؤامرة قد جردت من الوسام الذى كان قد أنعم به عليها . هذه أول مرة فى تاريخ الاتحاد السوفيتى تعترف السلطات الرسمية فيها بأن البوليس السرى السياسى قد لجأ إلى التعذيب للحصول من متهمين على أعترافات معينة .

البوليس السرى الروسى :

كان البوليس السرى الروسى — منذ تولى البلشفيك السلطة يسمى « تشيكا » وهى كلمة مركبة باللغة الروسية معناها « القوميسارية الغير عادية ثم عدل الاسم بعد ذلك إلى G.P.U ثم إلى D.G.P.U ثم إلى N.K.V.D ثم إلى M.G.B ، واسمها فى الوقت الحاضر K.G.B ، وكلها أسماء للوزارة التى تتولى أمن الدولة ، غير أن أعضاء البوليس السرى الروسى لا يزال يطلق عليهم اليوم الـ « تشيكيست » نسبة إلى الاسم الأول وهو « تشيكا » .

من مسئوليات البوليس السرى الروسى الجاسوسية المضادة ، ومكافحة الجاسوسية ، وله فروع فى كافة أنحاء العالم ، وله ممثلون فى كافة المصانع السوفيتية حتى أقلها شأناً وأبعدها مكاناً ، وتمتد مسئولياته إلى المخالفات والجرائم الاقتصادية ، ومن أختصاصاته أتصالات العلماء وأعضاء السفارات السوفيتية فى كافة أنحاء العالم ورقابة أعضاء السلك الدبلوماسى الأجنبى فى موسكو والأجانب عموماً ، وتحت تصرفة طائرات هليكوبتر وزوارق بحرية سريعة ، وعليه حماية الكبارى وكافة المنشآت التى لها علاقة بأمن وسلامة الدولة . من مهامه تعيين الطباخين وسائقى السيارات لكبار المسئولين السوفيت وكذا الخدمات فى الفنادق التى يقيم فيها الأجانب ويتبعه ضباط وجنود جوازات السفر فى الموانى والمطارات ويشرف على كل ما يتراءى له بأنه على صلة بأمن الدولة وسلامتها .

النبأ الرهيب :

أنتهى شهر فبراير سنة ١٩٥٣ والعلاقات بين الشرق والغرب فى توتر شديد ففى لندن تكلم ونستون تشرشل فى مجلس العموم البريطانى فدعا إلى عقد مؤتمر « الكبار » بعد أن وصلت تلك العلاقات إلى حافة الخطر .

كان رئيس وزراء فرنسا « رينيه مايير » يناشد البرلمانيين الفرنسيين أن يوافقوا على معاهدة إنشاء جيش الدفاع الأوربى فى الوقت الذى كان الجنرال دى جول يعارض فى ذلك بكل قواه .

فى الأمم المتحدة يتجنب الامريكيون والروس تبادل التحيات بعد أن أعلن جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا بأنه لن يكون البادىء بمد يده لمصافحة « أندريه فيشنسكى » وزير خارجية الاتحاد السوفيتى .

كانت هناك أمام الأوربيين مشكلة تأميم مصدق لإنتاج البترول فى إيران وكانت المرة الأولى فى التاريخ التى تجرأ فيها دولة من دول الشرق الأوسط على تحدى منتجى البترول العالميين وسابقه خطيرة على المستوى الدولى .

كتب الصحفى المشهور « إدوارد سابلييه » فى صحيفة « الموند » الفرنسية يقول بأن « موسكو أصبحت الحكم » .

قال بعض السياسيين بأنه أصبح لا مناص من أن يجلس ستالين مع آيزنهاور على مائدة واحدة لكى يتجنب العالم أهوال الحرب الذرية ، ولكن لا أحد يسمع شيئاً من ستالين ولا أحد يعرف شيئاً عن نواياه .

فى مساء يوم الثلاثاء ٣ مارس كانت الحياة فى موسكو تسير سيرها الطبيعى فلم تتحدث صحافة اليوم عن شىء غير عادى . جاء منتصف الليل فدقت أجراس الكرملين وأذاعها راديو موسكو كالمعتاد وأنتهت الأذاعة بالنشيد السوفيتى .

فى الساعة الثامنة والنصف من صبيحة الأربعاء توقفت كافة برامج الاذاعة لبرهة قصيرة ثم خرج صوت جهورى يشد على كل حرف من حروف الكلمات التى ينطق بها ليقول « أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعى

السوفيتى ومعها مجلس وزراء أتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية يعلن نبأ الكارثة التى حلت بحزبنا وبشعبنا : المرض الخطير الذى أصيب به الرفيق ستالين . فى ليلة ١ — ٢ مارس وبينما كان الرفيق ستالين فى مسكنه فى موسكو أصيب بنزيف فى المخ أمتد إلى الأجزاء الحيوية به وفقد على أثر ذلك الوعى ، ونتج عن هذا النزيف أن أصيب ذراعه الأيمن وساقه الأيمن بالشلل ، كما أنه قد فقد النطق وتبع ذلك أن أصيب باصابات فى القلب وفى جهاز التنفس » .

كانت هذه أول مرة تعلن فيها السلطات السوفيتية عن مرض أحد كبار القادة ولذلك فسر البيان على أنه إعداد للشعب لتلقى نبأ النهاية وعرف بعد ذلك بأن ستالين لم يكن فى الكرملين عندما أصيب بل كان فى منزله الريفى فى « كونتسيفو » .

كيف أصيب ستالين :

تحدث خروشتشيف فى سنة ١٩٥٩ عن تفاصيل وفاة ستالين إلى السفير الامريكى « أفيريل هاريمان » ، كما تحدث إلى أحد وزراء الجنرال دى جول فى سنة ١٩٦٠ عن تلك التفاصيل . وفى ١٩٦٧ نشرت « سفتلانا » أبنة ستالين مذكراتها لأول مرة بعد أن غادرت الاتحاد السوفيتى ، وفيما يلى التفاصيل المشتركة بين المصدرين .

فى مساء السبت ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٣ دعا ستالين أربعة من معاونيه لتناول طعام العشاء معه فى منزله الريفى فى كونتسيفو وهم مالينكوف ، بريا ، بولجانين وخروشتشوف وكان ستالين فى غاية المرح وشرب كثيراً كعادته ، ولم ينته العشاء إلا عند فجر يوم الأحد أول مارس وأنصرف كل منهم إلى منزله الريفى القريب من موسكو .

كان من عادة ستالين أن لا يمر يوم أحد دون أن يتصل تلفونيا بأحد هؤلاء الأربعة أو بهم جميعاً . تقول سفتلانا بأنها أرادت الاتصال تلفونيا بأبيها فى هذا اليوم فرد عليها ضابط الأمن المناوب بأنه « ليست هناك حركة »

ومعنى هذا بأن ستالين لا يزال بداخل الفيلا ولم يطلب أحد ولا يمكن أزعاجه فربما كان لا يزال نائماً طبقاً لما أعتاد عليه من أن ينام فى أية ساعة من ساعات الليل أو النهار .

أنقضى نهار يوم الأحد ودخل ظلام الليل وإذا بالتليفون يدق فى مساكن مالينكوف وبريا وبولجانين وخرشتشيف ويطلب إليهم ضابط الأمن الحضور فورا إلى كونتسيفو لأنه يشك فى أن أمراً ما قد حدث . لدى وصول الأربعة وجدوا القلق مسيطراً على رجال الأمن إذ أن ستالين لم ينادى طول اليوم على أحد ولم يطلب طعاماً وأنهم لا يجرأون على محاولة أستيضاح الأمر . بقى الجميع يتشاورون حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل عندما تمكنوا من الدخول إلى داخل الفيلا ليجدوا ستالين ممدداً على سجادة بملابسه يغط فى نوم عميق غير عادى (لم يذكر كيف تمكنوا من الدخول إلى الفيلا مع أحتياطات الأمن المعقدة من الداخل والأبواب المصفحة التى تفتح بالكهرباء من الداخل فقط) .

أستولى الرعب على الجميع عندما وجدوا أنفسهم بجوار ستالين النائم على أرض الغرفة إذ كانوا يفكرون فيما قد يفعل بهم إذا ما أستيقظ من نومه ليجدهم بجواره دون أن يستدعيهم . اتصلوا فورا بصديق ستالين الماريشال فوروشيلوف وكاجا نوفيتش ، وطلبوا إليهما الحضور فوراً ، ولم يقرروا أستدعاء مولوتوف بسبب فتور مشاعر ستالين نحوه .

حضر الأطباء وقرروا بأن ستالين قد أصيب بعجز لا علاج له وربما أدى هذا العجز إلى الوفاة .

لم تخطر سفتلانا إلا صباح الأثنين عندما حضرت ورأت أباها فاقد الوعى والنطق وبولجانين وخروشتشيف ينتحبان بجواره . تراجعت سفتلانا من جوار أبيها لأنه ملك للدولة السوفيتية وليس ملكا للعائلة .

تناوب الستة الحاضرون البقاء بجوار ستالين ، كل أثنين فترة من الزمن ليلا ونهاراً للاشراف على العلاج ومراقبة الأطباء . كان يجلس الأربعة الآخرون فى غرفة مجاورة يتحدثون فى صوت خافت ، فى رؤوسهم نوايا وأفكار

عن توزيع الميراث وفى أعينهم دموع يحسدهم عليها أعتى التماسيح وعلى أفواههم كلمات لا صلة لها بما يدور فى رؤوسهم . سرعان ما تكونت الجماعات ، مالينكوف وبريا فى جانب يتحادثان ، خروشتشيف بولجنين فى جانب آخر يتشاوران ، فوروشيلوف وكاجانوفيتش يترقبان أى جانب يؤيدان .

لم يقرر المجتمعون أعلان نبأ الإصابة على الشعب السوفيتى إلا بعد يومين وبعد أتخاذ تدابير أمن خاصة ومناشدة الشعب عند إعلان النبأ أن يتمسك بالوحدة والتضامن والولاء .

كان ستالين وهو يرقد على فراش الموت يفتح عينيه من بين حين وآخر فيسارع الجميع إلى الإنصات عساه أن يفضى بشئ ولكنه كان فى غيبوبة تامة . كان بريا أكثر الحاضرين اهتماماً بإظهار عواطف الولاء لستالين .

فى اليوم الرابع عاد ستالين إلى وعيه قليلا وأعطته الممرضة قليلا من الماء ليشرب بملعقة صغيرة . رفع ستالين يده التى كان يتمكن من تحريكها وخطط رسماً لفتاة صغيرة تعطى لبناً لأوزى صغير ولكنه لم يكن يتمكن من النطق ، كان يحاول أن يبتسم ولكنه سرعان ما دخل فى طور الاحتضار بسبب ضيق التنفس فامتقع لون وجهه وتغيرت معالمه ، عندئذ أعلن البروفسور « مياسنيكوف » بأن ستالين قد انتهى . أجهش مالينكوف وبولجانين وخروشتشيف وفوروشيلوف وكاجانوفيتش فى البكاء بينما طلب بريا سيارته واختفى .

صدر بيان أمضاه ثمانية من الأطباء الأساتذة هذا نصه : « فى الساعة الثانية والعشرين إلا عشر دقائق من اليوم الخامس من شهر مارس ازداد الهبوط فى الأوعية الدموية القلبية والتنفسية وتوفى جوزيف فيسار يونوفيتش ستالين » .

تقول سفتلانا « بأنه فى يوم الاثنين ٢ مارس سنة ١٩٥٣ دعى أخوها (فاسيلى) إلى الحضور إلى كونتسيفو » . بقى فاسيلى لبضع ساعات فى الصالة الكبرى عندما كان كبار زعماء السوفييت يحضرون ويغادرون ،

وكان ثملا كعادته ، ثم غادر المكان وعاد ثانية ليثير الضوضاء ويسب الأطباء ويصيح بأعلى صوته « لقد قتلوا أبى ، إنهم يقتلون أبى » .

فى الساعة السادسة من صباح يوم ٦ مارس بدأ راديو موسكو برامجه بصوت جهورى ينادى « إلى جميع أعضاء الحزب ، إلى جميع عمال الاتحاد السوفيتى » .

لقد توقف عن الخفقان قلب جوزيف فيساريو نوفيتش ستالين ، رفيق لينين فى السلاح والحامل العبقرى لعمله والمرشد البصير المعلم للحزب الشيوعى وللشعب السوفيتى » .

ثم ناشد المذيع الشعب السوفيتى أن يظهر « اتحادا قويا مثل الصلب وتضامنا مثل الصخر » ووعده بالخير والسلام والأمان ، ثم قرأ المذيع النشرة الطبية التى تشرح كيف مات ستالين فى الليلة الماضية .

كان جثمان ستالين قد نقل سراً خلال الليل من «كونتسيفو» إلى موسكو ، وبدأت كافة محطات راديو الاتحاد السوفيتى تذيع المارشات الجنائزية لشوبان وبيتهوفن ، والجزء الأخير من السيمفونية العاطفية لشايكوسكى وأجزاء من موسيقى « برليوز » ثم أناشيد وغناء حماسى .

فى الساعة الثالثة بعد ظهر يوم ٦ مارس نقل جثمان ستالين إلى مقر النقابات ليسجى فى المبنى الذى كان فى يوم من الأيام نادياً للنبلاء ، وهو قطعة فنية رائعة من الفن المعمارى الروسى القديم بنى فى نهاية القرن الثامن عشر ، وقد وضعت على واجهة المبنى صورة ضخمة لستالين فى إطار من خشب الأرو الثمين مجللة بشارات الحداد .

اسجى جثمان ستالين بصالة الأعمدة فى المبنى المذكور حيث اسجى جثمان لينين منذ تسعة وعشرين عاماً مضت .

كونت لجنة برئاسة خروشتشيف لتنظيم أكبر جنازة فى القرن العشرين على هدى ما تم فى جنازة لينين مع التوسع والضخامة فى كل التفاصيل .

ظل جثمان ستالين مسجى لمدة ثلاثة أيام وقدر عدد الذين مروا لمشاهدته بخمسة ملايين من البشر يسيرون فى بطىء شديد .

كان يسمح لزعماء الرعيل الأول من الشيوعيين بالوقوف ربع ساعة أمام الجثمان ويسمح لمن هم أقل منهم مرتبة بالوقوف دقيقتين أو ثلاثة . وعندما أغلقت أبواب المبنى فى منتصف ليل ٨٪٩ مارس لانتهاء الفترة المحددة لعرض الجثمان كان لا يزال هناك فيضان من البشر يقفون فى طابور طوله عشرة كيلو مترات .

فى الساعة العاشرة من صباح يوم ٩ مارس كانت الحياة متوقفة فى كافة أنحاء الاتحاد السوفيتى ، وتطلع مائتا مليون من البشر لأخبار ستالين وهو فى رحلته إلى مقره الأخير .

بدأ موكب الجنازة بغابة متحركة من باقات الزهور الضخمة يسير حاملوها نحو الميدان الأحمر ببطىء فى خمسة وعشرين صفاً بينما كانت الموسيقى تصدح بالمارش الجنائزى لشوبان .

خلف هؤلاء ست من الخيول السوداء تجر النعش المغطى بقماش أحمر والموضوع على عربة مدفع . وضعت على النعش كاسكيت ستالين الخاصة وعليها رتبته العسكرية (جنراليسيمو) ، ويسير خلف النعش بعض الماريشالات والجنرالات يحملون وسادات من قماش الساتانيه القرمزى اللون وضعت عليها الأوسمة والنياشين الخاصة بستالين . سار خلفهم كبار زعماء السوفييت ووضع كل منهم على ذراعه شريطاً عريضاً من اللونين الأحمر والأسود ، وسار (شواين لاى) رئيس وزراء الصين وقتئذ بين مالينكوف وبريا ، ثم أتى بعدهم أعضاء أسرة ستالين (ابنته سفتلانا وابنه فاسيلى وبعض الأولاد الصغار) ، ثم أتى بعدهم وفود الدول الأجنبية والوزراء والسفراء .

عندما اقترب الموكب من الميدان الأحمر توقف السير ووضع التابوت على منصة حيث نكست فرق حامية موسكو وقوات الأكاديمية الحربية أعلامها أمام النعش .

صعد الزعماء إلى الضريح وبدأ مالينكوف خطاباً فى رثاء ستالين واعداً الشعب السوفيتى بالخير والسلام مركزا على السلام .

ثم تبعه بريا واعداً الشعب السوفيتى باحترام حقوقه المنصوص عليها فى « الدستور الستالينى » وأعلن تأييده لمالينكوف .

ثم تبعه مولوتوف بصوت متهدج مرتجف يرثى ستالين رثاءاً حاراً ، ستالين الذى أبعده فى أواخر أيامه ، بل وربما كان يريد القضاء عليه .

اكتفى خروشتشيف الذى أشرف على مراسم الجنازة بتقديم الخطباء الثلاثة وإعطاء الكلمة لكل منهم .

تقدم زملاء ستالين فى السلاح يحملون النعش على أكتافهم يعاونهم مالينكوف وبريا ومولوتوف وخروشتشيف وبولجانين وكاجانوفيتش وميكويان يحملون ستالين إلى قبو الضريح حيث وضع نعش لينين وعندما وضع النعش فى مكانه بالقبو دقت ساعة الكرملين منتصف النهار وقصفت المدافع ورفع العلم المنكس إلى مكانه واستعدت الفرق العسكرية للقيام بالعرض الأخير أمام جوزيف ستالين .

فى تلك اللحظة ولمدة خمس دقائق توقف العمل فى كافة أنحاء الاتحاد السوفيتى وتوقفت كل وسائل المواصلات والنقل وتوقف العمل فى كافة مصانع الاتحاد السوفيتى وأطلقت السفن الحربية والقطارات صفاراتها :

فى بكين كان الرئيس ماوتسى تونج يركع أمام صورة ضخمة لستالين ، كما توقفت الحياة فى فرسوفيا وبودابست وبراج وبرلين فى اللحظات التى كان جثمان ستالين ينزل فيها إلى قبو الضريح .

كانت جنازة جوزيف ستالين أكبر مشهد حزين فى كافة العصور .

حفر اسم ستالين تحت اسم لينين على جدار الضريح فى انتظار أن يبنى ضريح خاص (بانتيون) لعظماء الاتحاد السوفيتى ، وكان قد أعلن عن المشروع يوم ٧ مارس سنة ١٩٥٣ ولكنه لم ينفذ إلى هذا اليوم .

فى سنة ١٩٢٤ كان البروفسور (فوربييف) قد تمكن من تحنيط جثمان لينين بطريقة علمية قيل أنها مبنية على أساس المحافظة على درجة رطوبة معينة ومستمرة لأنسجة الجسم وذلك بإيداع مضخة كهربائية صغيرة داخل

الجثمان . توفى البروفسور فوروبييف ولكن مساعده البروفسور (زبارسكى) احتفظ بأسرار هذه العملية . كان ستالين قد أغدق عليه أنواعاً كثيرة من التكريم ثم أمر بالقبض عليه ولكن هذا البروفسور — بدون حقد على ستالين — لم يرفض أن يحنط جثمان ستالين وأمضى عدة أشهر حتى انتهى من مهمته فى نوفمبر سنة ١٩٥٣ ، سمح بعدها للجمهور بالدخول إلى الضريح لكى يرى لينين ببدلته البسيطة وستالين يرقد بجواره فى سترته الموشحة بكل أنواع النقوش على الكتفين .

الورثة :

بدا بسرعة وكأن مالينكوف قد بدأ يجمع فى يده كافة سلطات ستالين . كان رئيساً لمجلس الوزراء وزعيما للحزب وظهر أمام الشعب السوفيتى وكأنه صاحب الميراث الذى أوصى له به ستالين ، وبدأت صحيفة البرافدا تنشر صوره وتتحدث عنه .

وقف بريا فى جانب مالينكوف وقنع بمنصب نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية ، وقد حصل على ما يريد وهو أن يكون له الإشراف على البوليس وأن يجمع تحت سلطانه امبراطوريتى البوليس اللتين تشرفان على معسكرات الاعتقال والبوليس السرى .

انقص عدد أعضاء البريزيديوم من ٢٥ إلى عشرة أعضاء أصليين وبذلك أبعد عنه أغلب الأعضاء الذين كان ستالين قد ضمهم إلى البريزيديوم من ستة أشهر مضت ومنهم ليونيد بريجينيف الذى أعيد إلى خدمة الجيش برتبة ليفتنانت جنرال كرئيس مساعد للادارة السياسية للجيش ، وهو عمل مريح ولكن لا يقاس بمركزه القوى السابق فى سكرتارية الحزب .

أصبح نيكيتا خروشتشيف ثانى شخصية فى الحزب ، ولما كان مالينكوف يعتمد على بريا وبالتالى على البوليس فقد اتجه خروشتشيف إلى التقرب من الجيش . كان نيكولاس بولجانين هو المسيطر على الجيش فوجد نفسه هو الآخر حليفاً لخروشتشيف أمام مالينكوف وبريا .

كان هناك الكسيس كوسيجين الذى أهمل بعد المؤتمر التاسع عشر

للحزب فى أكتوبر سنة ١٩٥٢ وقد أبعد كلية بعد وفاة ستالين من البريزيديوم وفقد لقبه كنائب لرئيس مجلس الوزراء ولم يتبق له إلا وزارة الصناعة الخفيفة والتغذية .

كان هناك بعض جنرالات الجيش الذين أبعدوا إلى قيادات ثانوية بسبب عدائهم لجنرالات البوليس وفى مقدمتهم الجنرال جوكوف .

وكما هو حال الدنيا عندما يختفى صاحب السلطان المطلق بدأ كل شئ يتغير حول اسم ستالين وذكراه . صحيفة البرافدا التى خصصت عددها الصادر يوم ١٠ مارس بأكمله لوصف جنازة ستالين وظلت تنشر على مدى أسبوعين المقالات وقصائد الشعر فى رثائه تبدل الحال مباشرة فأصبح اسم ستالين يذكر مرة أو مرتين أو ثلاث مرات كل يوم وأحياناً لا يذكر على الإطلاق .

فى ١٤ مارس يحدث من جديد تعديل هام ، مالينكوف وريث تركة ستالين يصبح رئيساً للحكومة فقط ويترك سكرتارية الحزب ، وبعد شهر من هذا التعديل ظهر فى التكوين السياسى للقيادة السوفيتية مبدأ جديد وهو « المشاركة مبدأ أعلى فى إدارة حزبنا » ، وهذه المشاركة تعنى رسمياً ثلاث قيادات (مالينكوف — بريا — مولوتوف) ، الثانى والثالث أصبحا نائبين لرئيس مجلس الوزراء واحتفظ أولهما بوزارة الداخلية وعاد ثانيهما إلى وزارة الخارجية . خلف هؤلاء الثلاثة ثلاثة زعماء آخرون هم بولجانين وكاجانوفيتش ، وميكويان . لم تكن الأنظار مشدودة كثيراً إلى نيكيتا خروشتشوف الذى أصبح السكرتير الأول للجنة المركزية عندما ترك مالينكوف هذه الوظيفة ليصبح رئيساً للوزارة فقط . بدأ نيكيتا خروشتسيف يجمع فى يده سلطات الدولة شيئاً فشيئاً .

فى ٧ أبريل تقرر تعديل تسمية الدستور الذى كان يسمى بالدستور الستالينى إلى « الدستور السوفيتى » وامتنع كافة الكتاب عن وصف ستالين بالعبقرى . كان ستالين قد أصدر هذا الدستور فى ٥ ديسمبر سنة ١٩٣٦ وعرف بدستور ستالين فى وقت كان يجرى فيه حركات تطهير ، ويعتبر يوم صدور هذا الدستور عيداً وطنياً يحتفل به فى نوادى المؤسسات والمسارح

والجامعات ويوصف ستالين فيه بأنه « المؤسس لدستور الاشتراكية المنتصرة » . وفى هذا اليوم يقوم آلاف الخطباء لتلقين العمال بأن « دستور ستالين هو أكثر دساتير العالم ديمقراطية » .

الخلاص من بريا :

فى ٩ يوليه سنة ١٩٥٣ ، أعلنت القيادة السوفيتية الجديدة بأنه قد تبين لها بأن « بريا » هو « عميل للامبريالية الدولية » وأنه كان يتآمر على إعادة الرأسمالية والبرجوازية إلى الاتحاد السوفيتى » .

بعد صمت دام بضعة أشهر أعلن بأن التحقيق مع بريا قد انتهى وأنه قد حوكم فى جلسات مغلقة وحكم عليه بالإعدام ونفذ فيه الحكم يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٣ ، كما أعدم معه ستة من معاونيه وأن المحكمة الخاصة التى حاكمته كانت برئاسة المارشال « كونييف » .

وقد يتساءل أحد فيقول هل كانت هناك حقيقة محاكمة ومحكمة ؟ وهل كان من الممكن الانتظار ستة أشهر للخلاص من أقوى رجل فى الاتحاد السوفيتى ؟ وهل كان من الممكن القبض عليه والتحفظ عليه فى السجن طول تلك المدة بدون مخاطرة ؟ .

خرج خروشتشيف عن صمته الطويل وتحدث فى فترات مختلفة إلى بعض زعماء الشيوعيين فى فرنسا وإيطاليا وفى بعض دول أوربا الشرقية ولم تختلف أحاديثه حول النقطة الهامة وهى أن بريا قد مثل أمام اجتماع لمجلس السوفيت الأعلى فى الكرملين (أمام البريزيديوم) ولم يخرج حياً من هذا الاجتماع إذ كان بعض الماريشالات والجنرالات مجتمعين فى غرفة مجاورة لغرفة الاجتماع وبناء على إشارة معينة قاموا بالقبض على بريا والقضاء عليه ، ولكن تضاربت أقوال خروشتشيف نفسه عمن قام باطلاق الرصاص على بريا فقال مرة بأنه الماريشال جوكوف ومرة قال بأنه الجنرال : « موسكالنكو » ، وقال مرة بأنه « ميكويان » وتارة قال بأنه هو الذى أطلق الرصاص على بريا .

غير أن خروشتشيف قد عاد فنفى فى مذكراته التى تسربت إلى الغرب فى سنة ١٩٧٠ ، بأن بريا قد قتل قتلا مباشراً ، ولكنه حوكم وحكم عليه بالإعدام .

هناك أيضاً رواية متداولة وهى أن أعضاء مجلس السوفييت الأعلى قد علموا بأن بريا أعد مؤامرة للقبض عليهم جميعاً عندما يحضرون إلى مسرح البولشوى مساء يوم ٢٧ يونيه سنة ١٩٥٣ فأسرعوا هم بالقبض عليه يوم ٢٦ يونيه قبل أن ينفذ مؤامرته .

يقول الرئيس البطل الراحل محمد أنور السادات فى مذكراته التى كانت تنشرها صحيفة « مايو » عن هذا الموضوع تحت عنوان « عرفت هؤلاء » (بعددها الذى صدر يوم ١٣ أبريل سنة ١٩٨١) ما يلى :

« الطريف أن خروشوف بدلا من أن ينهى عبادة الفرد وقع هو نفسه فى هذا الوهم وتصور أنه أصبح إلهاً رغماً عن أنه لا يؤمن بالآلهة ولا بالأديان وعندما يتصور الحاكم — أى حاكم — أنه أصبح إلهاً فهذا يعنى نهاية كل شئ ، فالدكتاتورية تكشف عن أنيابها والإرهاب يكتم الأنفاس والسجون والمعتقلات تفتح أبوابها لاستقبال كل من ينطق بحرف واحد يفهم منه أنه لا يتجاوب مع النظام .

والمضحك أن خروشوف لم يخف هذه الحقيقة بل على العكس من ذلك كان يحدثنا عما يجرى فى بلاده بلا حرج وبلا حساسية ، فقد قص علينا كيف تمكنوا من القضاء على زميلهم (بريا) خوفاً من قوته ومن الأسرار التى يكتمها ، فالمعروف أن النظام الرقابى فى المجتمعات الشيوعية يعتمد أساساً على ما يسمى بالكنترول ، فماذا تعنى هذه الكلمة ؟ .

معناها أن أجهزة الأمن والمخابرات تفرض نفسها على المواطن عن طريق تصيد خطأ وقع فيه ، أو دفعته تلك الأجهزة للوقوع فيه ، فلا يستطيع أن يفلت من قبضتها ، ويصبح ذليلا لها ، وكثيراً ما يسجل هذا الخطأ بالصورة والصوت معاً كدليل لا يمكن إنكاره ، فيضطر المواطن إلى الإذعان ، ولا يفكر فى القيام بأى عمل ضد النظام خوفاً من افتضاح فعلته .

وبريا كان هو المسئول عن أجهزة الأمن فى الاتحاد السوفيتى وكان يطبق نظام الكنترول هذا على جميع المواطنين ، وبالذات على المسئولين فى الحكومة وفى الحزب .

ويبدو أن بريا تمكن من جمع أدلة ، مؤيدة بالصوت والصورة ، لجميع قادة الاتحاد السوفييتى تؤكد أخطاءهم وانحرافهم ، ولعل هذا هو السبب أن حكام الاتحاد السوفييتى قرروا التخلص من بريا فوراً قبل أن يتخلص هو منهم الواحد بعد الآخر .

ويحكى خروشوف تفاصيل المؤامرة ضد بريا فيقول « لم يكن من الممكن استدعاء بريا لاجتماع خاص لأنه لابد أن يعلم مقدماً أن الهدف من هذا الاجتماع هو قتله أو اعتقاله ، فعيونه فى كل مكان ، وجواسيسه يلتقتون كل حركة ويرصدون كل كلمة ، وأخيراً اتفق على دعوة المكتب السياسى إلى الانعقاد فى جلسة عادية حضرها بريا بصفته عضوا فى هذا المكتب . التف أعضاء المكتب السياسى حول مائدة الاجتماع بعد أن أغلق الباب عليهم ، وفجأة قام الأعضاء واتجهوا بسرعة ناحية بريا وأطبقوا على رقبته بأيديهم ولم يتركوها إلا بعد أن أسلم الروح ، وهكذا تخلصوا من بريا ، ولم يكن باستطاعتهم التخلص منه إلا بهذا الأسلوب » . انتهى .

على كل حال فإن القضاء على بريا قد القى بكل أخطاء الحقبة الستالينية عليه أمام جماهير الشعب السوفيتى ، ولم تكتف القيادة السوفيتية باتهام بريا بأنه عدو الشعب السوفيتى بل نسبت إليه بأنه من أصل يهودى .

كوفئ القادة العسكريون الذين ساعدوا فى القضاء على بريا ، فقد ضم الماريشال « جوكوف » إلى اللجنة المركزية كعضو تام العضوية ، وعين الجنرال « موسكالينكو » قائداً لسلاح الصواريخ . وهذه هى المرة الأولى فى تاريخ الاتحاد السوفيتى التى تتدخل فيها القيادة العسكرية العليا فى المنازعات السياسية .

فى شهر ديسمبر من عام ١٩٥٤ أعدم أربعة من كبار أعوان بريا ومن بينهم وزير أمن الدولة « أباكوموف » ، وفى نهاية سنة ١٩٥٥ أعدم

ستة من كبار رجال البوليس « لاشتراكهم اشتراكاً فعلياً فى النشاط المعادى للشعب السوفيتى الذى قام به بريا عدو الشعب » .

فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٥٤ قبض على فاسيلى ابن ستالين ووجهت إليه التهم عن كافة الأعمال التى ارتكبها أثناء حياة والده وأودع السجن وحكم عليه بثمان سنوات ولكن أفرج عنه بعد قليل وأبعد إلى إقليم « كازان » إلى أن توفى فى شهر مارس سنة ١٩٦٢ بالغاً من العمر واحداً وأربعين عاماً بعد أن ساءت صحته وأنهكه الشراب .

أما « سفتلانا » ابنة ستالين فقد أسقطت عن اسمها لقب ستالين سنة ١٩٥٧ واتخذت لنفسها اسم والدتها التى توفيت فى ظروف غامضة « الليلوييفا » .

بعد أربعة عشر عاماً تماماً من تاريخ وفاة والدها — أى فى ٦ مارس سنة ١٩٦٧ كانت « سفتلانا » موجودة فى نيودلهى وطلبت اللجوء السياسى إلى الغرب وأقامت فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث تزوجت أمريكياً ، ومن مفارقات القدر أن يولد حفيد لجوزيف فيساريونوفيتشى ستالين فى كاليفورنيا ويحمل جنسية الولايات المتحدة الأمريكية .

ستالين أمام التاريخ :

كان ستالين دكتاتورا ولكنه يختلف عن باقى الدكتاتوريين لأنه زعيم حركة وعقيدة تأصلت فى كثير من الشعوب الأخرى ، وهو يختلف عن هتلر وموسولينى فى أنه جاء بعد دكتاتور آخر يسبقه وهو لينين . ومع أن لينين قد كتب فى وصيته السياسية قبيل وفاته بأنه لا يرى أن يكون ستالين خليفته ، إلا أن هذه الوصية لم يكن لها أى أثر يذكر وعمل ستالين نفسه فى حذق ومهارة على إخفائها وإزالة آثارها .

ومع أن ستالين كان يعانى من تمدد فى أوعية القلب إلا أن قوة تحمله الجسمانية كانت كبيرة ولم يكن متوتر الأعصاب مثل هتلر أو أن سيطرته على قواه الجسمانية تتصل بعواطفه مثل موسولينى ، وإن كانت له أعصاب

فهى عروق تمر فى صخر ، أما صبره وثباته ومثابرته وقدرته على التحمل فهى صفات غير عادية فى البشر ، أنه بناء بطئ وبطئ جداً ولكنه كان قادراً على رؤية هدفه من بعيد .

كانت أعين ستالين تصل إلى أصغر الأمور فى الحياة السوفيتية وكان يحب أن يعرف التفاصيل الدقيقة عنها ويقرأ كل ما يصله من رسائل على عكس هتلر الذى كان لا يقرأ أى رسائل توجه إليه .

نجح ستالين فى التخلص من المعارضة اليسارية التى كانت تتمثل فى تروتسكى وزينوفييف وكامينيف والمعارضة اليمينية التى كانت تتمثل فى بوخارين وريكوف وتومسكى ، وكان نجاحه فى ذلك يمثل قمة المهارة السياسية والدهاء السياسى .

عندما تكون الصراحة فى مصلحته فلا يكون هناك أصرح منه إذ كانت لديه الشجاعة لأن يعترف بأخطائه الأمر الذى كان لا يقدم عليه غيره من الدكتاتوريين . فى كتابه « اللينينية » عرض لفلسفة سياسية على مستوى رفيع ، وفيه يعرض ما صادفه من نجاح وما تعثر فى التنفيذ وفى هذا الكتاب أيضاً يؤكد ستالين على الحسنات ولكنه لا يخفى السيئات .

لم يكن ستالين خطيباً مفوها ، ولم يكن من عادته أن يخطب كثيراً أو يكتب كثيراً .

ستالين شديد الذكاء ، وذكاؤه متيقظ واع حريص ومتقن أكثر منه ذكاءاً حاداً .

ستالين شديد القسوة ، ولا يمكن إنكار ذلك ، اطلق الذعر فى عقاب جماعى على طبقة بأكملها وأهلك عدة ملايين من الفلاحين ، استخدمت القوة فى عهد ستالين لتنفيذ هدف اجتماعى ولم يخف ستالين هذه الحقيقة فقد اعترف باهلاك الملايين ، وعندما قضى ستالين على كل معارضة له فى الحزب ، بدهائه ، لم يحتمل بعد ذلك أية معارضة وأضفى على النظام الحزبى منتهى الشدة ، جعل ستالين من الحزب والدولة وحدة واحدة ، وكان يشرف على كل عجلة ومسمار فى آلة الحزب .

أضفى ستالين على سكرتارية الحزب أهمية خاصة ولم يكن له منصب حكومى ، كان منذ سنة ١٩٣٤ واحداً من سبعة وثلاثين عضواً بالمجلس الأعلى للجنة المركزية التنفيذية لاتحاد الجمهوريات السوفيتية وهو ما يمكن وصفه بالبرلمان السوفيتى ، وهيئة الوزارة (أو مجلس قوميسيرى الشعب) مسئولة أمام هذا المجلس من الناحية النظرية وستالين لم يكن عضوا بهيئة الوزارة (مجلس قوميسيرى الشعب) ، كما أنه منذ سنة ١٩٣٤ لم يكن سكرتيراً عاماً للحزب الشيوعى السوفيتى بل كان واحداً من خمسة سكرتيرين متساوين (نظرياً طبعاً) ، والأربعة الآخرون هم كاجانوفيتش » « و « زادانوف » و « ايزوف » و « اندرييف » . وستالين أحد أعضاء المكتب السياسى التسعة ، والمكتب السياسى هو أعلى هيئة فى الحزب وهو الذى يشرف على كل شئ فى الاتحاد السوفيتى :

ينتخب سكرتيروا الحزب الخمسة وأعضاء المكتب السياسى من بين أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى ولهذه اللجنة الحق فى إبعاد أى عضو عن سكرتارية الحزب أو عن المكتب السياسى (بما فيهم ستالين ، نظرياً طبعاً) وعملياً لا يمكن إبعاد ستالين لأن انتخاب أعضاء اللجنة المركزية أنفسهم هو فى واقع الأمر بيد ستالين .

كان لينين رئيساً للحزب وفى الوقت نفسه رئيساً لمجلس قوميسيرى الشعب (أى منصب رئيس الوزراء) ولكن ستالين فصم هذا الارتباط وفضل أن يبقى ، فعلياً ، زعيما للحزب فقط ، ولو أنه — كما سبق أن قلنا — كان يشرف على كل شىء فى الاتحاد السوفيتى :

كان ستالين هو الرجل الذى ورث الثورة البلشفية ووضعها موضع التنفيذ العملى ولم يكن لديه تقدير للحياة البشرية ، وهو صاحب العصر الحديدى ، الرجل الذى صمم فى عنف بالغ على تصنيع روسيا وجعل نجاحه مرتبطاً بنظريته فى انجاح تطبيق الاشتراكية فى دولة واحدة ، بعكس ما كان يراه تروتسكى ويدعو له من أن نجاح الاشتراكية فى روسيا مرتبط بنجاحها فى دول أخرى خارجها :

بعد انتصار الحلفاء على هتلر حصل ستالين على حرية مطلقة فى شرق أوربا تمكن بها من بناء النظام الشيوعى فى بلدانها وخاصة فى بولندا وشرق المانيا والمجر .

زاد ستالين كثيراً من قوة روسيا العسكرية والتكنولوجية وفرض إرادته الحديدية على أضخم دولة على سطح الكرة الأرضية وجعل منها أعظم دولة فى العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية ، ولكنه كان مسئولا عن أضخم بؤس وشقاء وقتل للبشر أكثر من أى شخص آخر فى التاريخ باستثناء هتلر وجنكيز خان .

لم يكن ستالين متدنياً ، وكانت الشيوعية هى دينه الوحيد ، لقد قال « أن الحزب لا يمكنه أن يكون محايداً إزاء الدين لأن الدين هو موضوع يتعارض مع العلم » . ولكنه رغماً عن ذلك فقد قبل أن تدفن زوجته طبقاً لطقوس الكنيسة الأرثوذكسية ، وقيل بأنه ربما كان الدكتاتور الوحيد الذى قرأ الإنجيل بعناية فى صغره .

دخل ستالين التاريخ ليس فقط كامتداد لعمل لينين بل أنه أضاف كثيراً على ما قام به زعيمه وأستاذه لينين ، وإلى ستالين يرجع الفضل فى تحرير ملايين النساء الفلاحات من عبودية حياة القرية ، كان دائم الاهتمام بهذا الموضوع كلما قابل وفدا من الفلاحين وخاصة أعضاء الوفود من النساء وذلك لما كان يعتقده من أن إطلاق نشاط وإنتاج نصف سكان الاتحاد السوفيتى على جانب كبير من الأهمية فى المجتمع الاشتراكى الجديد .

الاتحاد السوفيتى هرم كبير ضخم لشعوب مختلفة وتقاليد متباينة ، كان عملا رهيباً من ستالين أن يخلق من هذا التشكيل الغريب اتحاداً متكاملا . الروس يمثلون خمسين فى المائة تقريباً من سكان الاتحاد السوفيتى وكان ستالين يطلق عليهم « الأشقاء الكبار » رغماً عن تاريخ الأوكرانيين

والأوزباكسيين (كييف وسمرقند) الذى يرجع إلى ألفين سنة ، والعقيدة الرسمية هى أن تفوق « الأشقاء الكبار » لا يرجع إلى الحقبة السوفيتية ، بل كان دائماً عبر التاريخ ، وأن الروس هم الذين أناروا الطريق أمام الشعوب المتخلفة فى الامبراطورية الروسية ، والتعبير الرسمى لذلك هو أن « الشعب الروسى هو الشعب الأول بين شعوب متساوية » .

النشيد الروسى الذى حل فى سنة ١٩٤٤ محل نشيد « الدولية » يشيد بروسيا الكبرى التى أنشأت الاتحاد السوفيتى .

وعندما شرب ستالين فى مايو سنة ١٩٤٥ نخب النصر على هتلر ، شرب نخب الشعب الروسى « القوة المحركة للاتحاد السوفيتى من بين كافة شعوب بلادنا » .

تقول سفتلانا الليلوييفا ابنة ستالين فى كتابها « سنة واحدة فقط » بأن نظرة والدها إلى النساء كانت نظرة بدائية جداً وتضيف « أعتقد بأن بأن فاليتشكا التى كانت تقوم بخدمته فى الثمان عشرة سنة الأخيرة تتفق تماماً مع ما يجب أن تكون عليه المرأة المثالية بالنسبة له ، وجه مستدير وأنف مرتفعة ، كانت بدينة ونظيفة تخدم جيداً على المائدة ولا تشترك على الإطلاق فى أى أحاديث » . لم يعرف عن ستالين بأنه كان شاذا فى علاقاته الجنسية .

يقول تروتسكى فى كتاب له عن ستالين بأنه قد بلغ من تعطش ستالين إلى رؤية الدماء أنه كان يتلهى بذبح الأغنام ولكن سفتلانا نفت هذا الاتهام وقالت بأن أباها كان حقيقة وحشاً ولكنه لم يكن يقتل بنفسه .

بالإضافة إلى مدينة ستالينجراد التى سميت باسم ستالين فقد سميت مدن أخرى باسمه مثل « ستالينو » و « ستالينسك » و « ستالينآباد » و « ستالينيرى » و « ستالينو جورسك » ، كما تسابقت دول شرق أوربا الخاضعة للنفوذ السوفيتى فى تسمية بعض مدنها باسمه مثل « ستالينستان » و « ستالينوجرود »

و « ستالينفاروش » : أما ما سمى باسمه فى كافة أنحاء الاتحاد السوفيتى من مصانع ومؤسسات ونواد ومزارع جماعية (كولكوز) ومناطق وأحياء وغيرها فلا تقع تحت حصر :

ربما كان ستالين أقوى إنسان نفوذاً على وجه الأرض فى النصف الأول من القرن العشرين ، ولكنه فى الوقت نفسه مجموعة من صفات البطولة والصبر والمهارة التى قلما يتفوق عليه فيها بشر ، أو كما قيل«هو مزيج من الحماس الثورى الروسى والنظرة الواقعية العملية الأمريكية للأمور » .